الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطـــية الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العـالـي والبحـث العلمـــي
جامعة عبـــاس لغـرور- خنشلـــــة –

كلية الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي

مذكـــرة مقدمـــة لاستكمال مقاييس شهـادة المـاستر في اللغة والأدب العربـي
تخصص أدب قديـم

إعـــداد الطالبة :
فطيمـي أسمـاء

إشـــراف الدكتور:
آدامـــي خميسي

لجنـــة المنـاقشـــة:

الإسم واللقب	الرتبـة	الجامعة الأصليـة	الصفـة
فالق سمية	أستاذ مساعد- أ-	جامعة عباس لغرور (خنشلة)	رئيسا
آدامـي خميسي	أستاذ مساعد - أ-	جامعة عباس لغرور (خنشلة)	مشرفاومقررا
عواطف سليماني	أستاذ مساعد - أ-	جامعة عباس لغرور (خنشلة)	مناقشا

السنـــة الجامعية2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

«سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا

إنك أنت العليم الحكيم»

البقرة (32)

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى أصدق الناس لي ودًّا في السر و الجهر و أحسنهم عندي بلاء في الشِّدة واللّين

إلى زوجي الكريم حفظه الله خالص الشكر .
إلى والديَّ الذّين علماني العطاء وكان لدعائهما الفضل في توفيق الله لي
إلى معنى الحب و الإخلاص إخوتي.
إلى حفيد العائلة "أدم".
إلى جدتي أطال الله في عمرها
إلى صديقاتي... وزملائي

أهدي هذا العمل خالصا لوجه الله.
أسماء فطيمي

قال تعال «رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»

النمل الآية(19).

اتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى من مد يد العون لي،في انجاز هذه الرسالة،وطوقني بالمساعدة على النهوض بهذا البحث الى الاستاذ المشرف «ادامي لخميسي » الذي احاطني بعمله ولم يبخل علي بجهد ولا وقت في توجيهي لإخراج هذا العمل .

وأتقدم بالشكر الجزيل الى السادة أعضاء لجنة المناقشة،

إلى اللذين زودوني بالمعلومات والكتب واخص بالذكر الأستاذ "خلايفي رشيد" و لدكتور "بلعيفة رشيد" والدكتور "لطرش يوسف"،

إلى كل من علمني حرفا صرت له عبدا.

مقدمة

اهتم الغرب بالشرق منذ أمد بعيد، وكان الاهتمام الثقافي أو العلمي أحد جوانب الاهتمام، فتعلم الكثير من أبناء الغرب لغات الشرق واستظهروها حتى وصل الأمر ببعضهم إلى وضع المعاجم في تلك اللغات، ودرسوا الآداب والعلوم والفنون وقد كان للقضايا التراثية حظ كبير من العناية والدرس، ومثل ذلك ما تجسد في دراسات آراء المستشرقين المهتمين بالشعر العربي في العصر الجاهلي أو الشك في ذلك الشعر، وكان للعرب في هذا المضمار دراسات وأراء طرحوا فيها قضية صحة الشعر الجاهلي، ومن بين تلك الدراسات ما قدمه طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" حيث يعرض شكوكه حول صحة هذا الموروث الشعري، الذي يعتبر ديوان العرب فيه أكثر أدبهم وعليه الاعتماد الأول، في دراسة نحوهم ولغتهم، حيث اختلف الأقدمون، والدارسون المحدثون في صحته.

وهناك من تحدث عن عطاء طه حسين من خلال هذه القضية، على أنه نتاج بيئة ثقافية غربية احتك بها طه حسين، ومن ثم برز تأثره بدراسات هؤلاء المستشرقين، لذلك جاء بحثي موسوما بـ " أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي".

وعلى كل حال فإن البواعث التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع تنحصر في دافعين:

الأول: معرفتي بطه حسين في المرحلة الثانوية بأنه قمة ينبغي التطلع إليها، ورائد ينبغي السير من خلفه.

وتجددت معرفتي به من خلال كتب وبحوث خلال المسار الجامعي صورته بأنه الأزهري الشارد والأديب المعاند وأنه المتابع لدوائر الاستشراق المبشرين، المنفذ لخططهم وأهدافهم وأنهم الذين بنوا مجده ووضعوا تاريخه وأنزلوه المنزلة التي تبوأها في الأدب والثقافة، فوقعت في حيرة بين معرفة قديمة و أخرى جديدة وتولدت من تلك

الحيرة رغبة في معرفة وجه الصواب، في طه حسين وتبيُّن مدى تأثره بهؤلاء المستشرقين.

الثاني: طه حسين وما يثار حول فكره من آراء وأقوال بأنه شغل فكر العربي في القرن الماضي بما أثاره من آراء حول شكه في صحة الشعر الجاهلي وبيان مدى موافقتها أو مخالفتها لآراء المستشرقين.

– و السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما مد ى تأثر طه حسين بالم رتشرقين في قراءته للشعر الجاهلي ؟ و هل كان هذا التأثر بمناهج البحث؟ أم كان تأثر ا بالآراء و الأشخاص.

– أما عن طبيعة البحث، فقد تتبعت آليات المنهج التاريخي الاستقرائي والتحليلي وذلك لتفكيك علاقة التأثير والتأثر.

– أما من حيث المصادر و المراجع، فقد اعتمدت مجموعة من المصادر و المراجع التي كانت بمثابة النور الذي أضاء لي الطريق ودلني على حقائق كنت اجهلها عن عالم الاستشراق الواسع فاعتمدت على كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد ترجمة محمد عناني، و كتاب حفريات الاستشراق و تغريب العقل التاريخي "لسالم يموت" وكتاب "الاستشراق و تغريب العقل التاريخي العربي" لمحمد يا رسي عريبي، و كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين و كتاب "طه حسين العقل و الدين" لعبد الرزاق عيد، و كتاب "طه حسين فكر متجدد "لسامح كريم".

– وقد جاءت خطة البحث مقسمة إلى فصلين تسبقهما مقدمة و تتلوهما خاتمة وجاء:

الفصل الأول: والمعنون بـــ "طه حسين و الاستشراق" تناولت فيه مفهوم الاستشراق لغة و اصطلاحا، و بعض المفاهيم التي تقدمت للاستشراق، من قبل بعض الباحثين و المفكرين و بعد ذلك قدمت مفهوما للمستشرق، الذي يمارس عملية الاستشراق،

لأتطرق بعد ذلك لنشأة الاستشراق بآرائه المتعددة، ثم تحدثت عن أسباب الاستشراق و دوافعه الاقتصادية و العلمية و الدينية، لأبرز بعد ذلك مراكز اتصال طه حسين بالاستشراق سواء كان اتصاله عن طريق التكوين الدراسي في مصر و فرنسا أو اتصاله بالمستشرقين في العمل الجامعي، و اللقاءات المنزلية، و حضور المؤتمرات الاستشراقية.

– أما الفصل الثاني و المعنون بـــ " أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر جاهلي" الذي تناولت فيه:

تقديم كتاب " في الشعر الجاهلي " لطه حسين

– كما تناولت أسباب رفض الشعر الجاهلي عند طه حسين (السياسة، الدين، القصص، الشعوبية، الرواة).

– وتحدثت بعدها عن مصادر منهج الشك و النحل في تقويم الشعر الجاهلي لطه حسين و تطرقت فيه: إلى كل من أراء المستشرق ين "ديفيد صامويل مارجليوث ورينولد نيكلسون" في صحة الشعر الجاهلي، لأبرز بعد ذلك مدى تطابق آراء هذين المستشرقين وطه حسين (دوافع شك طه حسين في الشعر الجاهلي).

– و مما لاشك فيه أن كل بلحث يصطدم بعقبات، ومجموعة من الصعوبات وهذه الأخيرة تجسدت وتمثلت في كون هذا الموضوع واسع، شائك ومتداخل ومتشعب ومتعدد الآراء.

– و أخيرا لا يسعني في هذا المقام الكريم، إلا أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير والتبجيل والاحترام إلى أستاذي المشرف على هذا العمل الأستاذ أدامي خميسي، والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على ما بذلوه من عناء في قراءة

هذا البحث و تقويمه والشكر أيضا لقسم اللغة العربية و آدابها، بكلية الآداب واللغات جامعة عباس لغرور خنشلة.

الفصل الأول

الفصل الأول: الاستشراق وطه حسين

أولا: 1-مفهوم الاستشراق:

1-1-لغة

1-2-إصطلاحا

2-مفهوم المستشرق

3-نشأة الاستشراق

4-أسباب ودوافع الاستشراق:

4-1-الأسباب الدينية

4-2-الدوافع الاستعمارية

4-3-الأسباب العلمية

4-4-الأسباب الاقتصادية

ثانيا: مراكز اتصال طه حسين بالاستشراق

1-الاتصال والتكوين الدراسي

1-1-في مصر

1-2-في فرنسا

2-الاتصال بالمستشرقين في مرحلة العطاء

2-1-العمل الجامعي

2-2-اللقاءات المنزلية(الصداقة الشخصية)

2-3-حضور المؤتمرات الاستشراقية

1-مفهوم الاستشراق:

يشكل مصطلح الاستشراق واحدا من المصطلحات الكثيفة التداول في النقاش الفكري، و المجال الحضاري و الدرس المعرفي و رغم هذا التداول أفقيا و الاتساع و العمق عموديا، إلا أن المصطلح ظل يطرح في دلالته على مفهوم و إيضاح هذا المصطلح "الاستشراق" حيث يكون السير **على** بصيرة و رشد.

1-1-لغة:

من الواضح أن: لفظ الاستشراق في اللغة العربية «مشتق من مادة (المصدر اللغوي) "شرق" و ذلك بعد تجريده من أحرف الزيادة "الألف و السين و التاء" يقال: "شرقت الشمس شرقا و شروقا إذا طلعت»[1].

ومما يجذب انتباهنا و بشرعية أن كلمة "استشراق" لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، و ليس عدم ورودها في المعاجم اللغوية، منع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف و علم الاشتقاق و «السين في كلمة استشراق يفيد الطلب أي طلب دراسة الشرق»[2]

ومن ثم فإن الاستشراق يفيد من جهة الشرق، و من شروق الشمس، و يفيد السين الطلب، فلفظ استشراق أي طلب علوم الشرق قال تعالى: « **فأخذتهم الصيحة مشرقين**».[3]؛ أي مصبحين، و يقال « شتان بين مشرق، و مغرب و يسمى أهل الشرق مشارقة وواحدهم مشرقي».[4]

ومن هذا يبدوا أن معنى استشراق من أدخل نفسه في أهل الشرق و صار منهم، وهنا نريد الخوض في المدلول الاصطلاحي للاستشراق.

---

1 مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج1، ط القاهرة 1960، ص 46.

2 السيد فتحي الويشي: الظاهرة الاستشراقية و أثرها في المناهج الدراسية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ط1، 2013، ص 20.

3 سورة الحجر: الآية 83.

4 محمد أحمد محمد فرج عطية: طه حسين و الفكر الاستشراقي، وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، دولة قطر، ط1، 1435هـ-2014م، ص 90.

1-2-اصطلاحا:

الاستشراق من المصطلحات التي تحمل عدة معاني، و تتضمن دلالات كثيرة، و بهذا لا نستطيع ضبط مفهوم دقيق للاستشراق.

وقد استخلص إدوارد سعيد ثلاث معاني للاستشراق، و صرح بأنه يعني بهذه الدلالات عدة أمور يعتمد بعضها على بعض و يبدو -في رأيه- مترابطة فكان:

الأول:

« و أما أيسر التعريفات المقبولة للاستشراق، فهو أنه مبحث أكاديمي، بل إن هذا لا يزال مستخدما في عدد من المؤسسات الأكاديمية».[1]

و يقصد بهذا المعنى أن الاستشراق مفهوم أكاديمي، وقد نشأ هذا المفهوم في أوساط جامعية، و لا زال يستخدم و يعتمد في أوساط أكاديمية، فيراد به ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية، بالدراسة و التحليل من قبل علماء الغرب.

الثاني:

« فالاستشراق أسلوب تفكيري يقوم على التمييز الوجودي و المعرفي بين ما يسمى "الشرق" و بين ما يسمى في معظم الأحيان " الغرب"».[2]

وهذا المعنى أعم و أشمل من المعنى الأول.وذهب في معناه هذا إلى أن الاستشراق أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي العرقي و الإيديولوجي بين الشرق و الغرب.

الثالث:

«الاستشراق أسلوب غريب للهيمنة على الشرق و إعادة بنائه، و التسلط عليه».[3]

- اعتبر ادوارد سعيد الاستشراق مذهبا سياسيا غربيا للسيطرة على الشرق و إستبنائه و امتلاك السيادة على العالم العربي.

و من هنا فقد فضح جوهر مفهوم الاستشراق، و فضح عملية سيطرته على الشرق، و إعادة بنائه و انتاجه سياسيا، اجتماعيا ، عقليا و علميا، من خلال نصوص تستمد

1 إدوارد سعيد: الاستشراق "المفاهيم الغربية للشرق"، ت محمد عناين، دار بنجوين العالمية، ط1، 2006م، ص 44.

2 إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص 45.

3 المرجع نفسه، ص 45.

سلطتها المرجعية من التمثيلات النصيةدون تفحص لمدى تطابق تلك النصوص مع الحقيقة التاريخية و الواقع.

- و يشير محمود حمدي زقزوق إلى مفهوم الاستشراق على أنه « الدراسات الغربية المتعلقة بالمشرق الإسلامي، في لغاته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام».[1]
- و قد أظهر أن الاستشراق هو الدراسات المختلفة عن حضارة و أديان الشرق الاسلامي و ثقافته، و التي أسهمت في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الاسلامي بصورة خاصة.
- أما ساسي سالم الحاج فقد حدد الاستشراق بأنه «الدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض، التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق و التعرف إلى كنوزه الحضارية، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة، سواء أكانت الأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية، و هذه الدراسة الضخمة أنتجت لنا ما نطلق عليه "الاستشراق"».[2]
- نستنتج من هذا المفهوم أن الاهتمام بأحوال الشرق، و الكشف عن عقليات شعوبه، و أسراره و أمزجته و حضارته، و تلمس مواضع القوة و الضعف لهذه الشعوب، توطئة لحملات موجات الاستعمار.
- ومن ثم أصبح استشراق يمهد لأرضية صالحة للاستعمار الاقتصادي و السياسي و الثقافي لشعوب الشرق بصفة عامة.
- نصل من خلال هذه المفاهيم، إلى أن العلاقة وثيقة بين المفهومين اللغوي و الاصطلاحي، إضافة إلى ذلك فمفهوم الاستشراق واسع، و يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة و متكاملة في آن واحد، لأنه في واقع الحال ليس بالمفهوم العلمي بل هو مصطلح ثقافي، فهو لم يلد في الشرق أو بلاد العرب و المسلمين خاصة، بل إنه

1 السيد فتحي: الظاهرة الاستشراقية و أثرها في المناهج الدراسية، ص 21.

2 ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، دار الكتب الوطنية لبنغازي، ليبيا، ط1، 2002م، ج1، ص 20-21.

رغم تحدثه عن المشرق و أحواله كمادة أساسية إلا أنه بزغ نجمه، وقوى مسنده في الغرب.

- ومن ثم فقد اختلفت الآراء حول هذه الدراسات، فمنهم من يرونهم –المستشرقين– مجحفين متقصدين هدم الاسلام و القيم الشرقية، و التغلغل الاستعماري و النفوذ السياسي، إلا أن المنصف من الباحثين لايستطيع أن يجحد جهود المستشرقين و لا يمكن أن ينكر تماما فضلهم، فكان لابد من التمييز بين وجوه الانصاف و الاجحاف.

ومن ثم فالفكر الاستشراقي ليس موضوعيا، كما أنه كان متحيزا وهو في الحالتين يكون قد ساعد على التأسيس لأسئلة شائكة طرحها العقل لا الذات، بما مكنه من معاودة النظر إلى ذاته مرة و إلى الآخر مرة أخرى.

ومن هنا نطرح السؤال الآتي: من هو المستشرق؟

2-مفهوم المستشرق:

لقد كان «أول استعمال لكلمة مستشرق سنة 1230 م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية».[1]

أما قاموس اكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه «من يتحر في لغات الشرق و آدابه».[2]

أي تطلق على العالم الغربي الذي يشتغل بدراسة الشرق و لغاته و آدابه، و لقد ضبط إدوارد سعيد تعريفا للمستشرق على أنه:« كل من يقوم بتدريس الشرق او الكتابة عنه أو البحث فيه، و يسري ذلك سواء أكان المرء مختصا بعلم الانسان، أم بعلم الاجتماع أو مؤرخ أو فقيه لغة، في جوانبه المحددة و العامة على حد سواء، فهو إذن مستشرق».[3]

1 أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الاسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1418 – 1996م ص 19.

2 المرجع نفسه، ص 11.

3 وليد كاصدالزيدي: الاستشراق و الاسلام، دار مجدة لاوي للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009–2010، ص 15.

و يقصد ادوارد سعيد أن المستشرق هو كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق سواء كان ذلك في مجال الأنتربولوجيا أي علم الإنسان أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فقه اللغة و سواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة.

وقد أثار اسماعيل أحمد عمايرة للمستشرق بقوله « فالمستشرق يسعى إلى اختراق الأفق الفكري الذي تفرضه البيئة حوله، بإلقاء نظرة على عالم الشرق.».[1]

وقد ذهب في هذا المفهوم إلى أن المستشرق يولي اهتماما بارزا بأمور الشرق، مما يجعله مرتبطا ارتباطا وثيقا بما يدور حوله من حركات علمية و ثقافية و تاريخية..... و حضارية في عالم الشرق.

ومن هنا نلاحظ أن مجمل المفاهيم، التي وضعت لمصطلح "المستشرق" تصب بالتقريب في وعاء واحد، فكان من البديهي أن نتساءل عن هذا التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء دراسات متباينة عن حضارة و أديان الشرق الاسلامي و ثقافته "الاستشراق". فمتى بدأ الاستشراق؟ وفي أي من الأزمنة بدأ يزاول نشاطه؟

3- نشأة الاستشراق:

ليس من السهل القطع بتاريخ محدد لبداية الاستشراق نظرا لاختلاف الآراء و الأقوال حول تلك البداية، لدى علماء الشرق و الغرب بعامة.

فمن العلماء من أرجح نشأته إلى «بداية الدعوة الاسلامية في المدينة و احتكاك الإسلام باتباع الديانتين السابقتين اليهودية و النصرانية».[2]

و يرد البعض الآخر نشأة "الاستشراق" إلى « إن الحروب الصليبية هي التي ثبتت مركز الحركة الفكرية في الشرق ليتحول بكنوزه إلى مركز الدائرة الفكرية بالغرب».[3]

---

1 اسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون و المناهج اللغوية، دار حنين، عمان، ط2، 1992، ص 13.

2 محمد أحمد فرج عيطة: طه حسين والفكر الاستشراقي، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، رفع عبد الرحمن النجدي، ط1، 1435هـ ، 2014م، ص39.

3 محمد ياسين عربيب: الاستشراق و تغريب العقل التاريخي العربي (نقد العقل التاريخي)، دار المحلس القومي للثقافة العربية اكدال، الرباط، ط1، 1991م، ص 136.

و يقصد بذلك عندما يتقن المبشرون أن المعرفة هي السلاح الأمثل للهيمنة على العالم الاسلامي و تنصيره و هذا ما أكده في قوله « و هذا الدافع للمعرفة هو ما يجعلنا نلتمس التاريخ للاستشراق الفعلي في القرن العاشر ميلادي على يد البابا سلفستر الثاني».[1]

و يتضح لدى البعض الآخر « أن تأسيس الاستشراق في القرن العاشر ميلادي الغربي و التي تجسدت في الحروب الصليبية مع نهاية القرن الحادي عشر».[2]

ومرد ذلك عندما استولى ألفونس السادس على قرطبة، و نتيجة ذلك أصبحت مكتباتها المتنوعة و المتعددة بما في ذلك أمهات الكتب بمكتبة الحكم الثاني، فكانت بذلك المصدر الثابت للاستشراق و لتأسيس العلوم و المعارف الغربية، و ردها إلى أقدم ترجمة للقرآن إلى اللاتينية «فإن أقدم ترجمة لاتينية للقرآن ترجع إلى سنة 1143»[3].

و ردها بعض الباحثين إلى القرن الثاني عشر « ولو انتقلنا إلى القرن الثاني عشر لوجدنا النورمان قد استمر في تأسيس مدارس الترجمة بجنوب ايطاليا، حيث نجد روجر الثاني في النصف الأول من هذا القرن يؤسس أكاديمية بنابلي استقطبت علماء من اليهود و النصارى و المسلمين لترجمة العلوم العربية و دراستها».[4]

و تعود البدايات الأولى للاستشراق عند البعض الآخر للقرن الثالث عشر « أما في القرن الثالث عشر الميلادي فإننا نجد الترجمة للتراث العربي قد ازدهرت بشكل منقطع النظير في عهد فردريك الثاني».[5]

و ذلك عندما حاول فردريك الثاني أن ينقل مركز الحركة الفكرية إلى بلاطه بكل قوة.

ومن ثم « استمر الأمر في محاولة فهم العلوم الإسلامية و الصراع معها حتى نهاية القرن السادس عشر موازيا للصراع الصليبي في الشرق خاصة في القرن الثاني

1 المرجع نفسه، ص 136.

2 المرجع نفسه، ص 137.

3 يوهاك فوك: تاريخ حركة الاستشراق، (دراسات العربية والإسلامية في أروبا بداية القرن العشرين) ن ق عمر لطفي، مطبعة رفع المساهم، ط2،ص14.

4 محمد ياسين عريب: الاستشراق و تغريب العقل التاريخي، ص 139.

5 المرجع نفسه، ص 140.

عشر و الثالث عشر و للصراع في الأندلس الذي انتهى بنهاية وجودها العربي الاسلامي مع بداية القرن السابع عشر».[1]

و تعود النشأة عند البعض الآخر لهولندا « انتزعت هولندا زمام المبادرة مع بداية القرن السابع عشر لمدة تقارب القرنين و يوحي من عصر التنوير».[2]

وهناك رأي آخر يقول: « بعد نجاح الثورة الفرنسية سنة 1789 في تحقيق أفكارها، انتزعت فرنسا الريادة في مجال الدراسات العربية».[3]

بينما يرى نجيب العقيقي أن تأسس الاستشراق بصفة جدية يعود إلى مؤتمر فيينا « و تعود النشأة إلى مؤتمر "فيينا"،هذا المؤتمر الذي كان من أوائل توصياته إنشاء صفوف اللغات العبرية و العربية و السريانية في روما على نفقة الفاتيكان، كما أوصت المؤتمر بأن تنشأ هذه الصفوف في باريس على نفقة ملك فرنسا وفي أكسفورد على نفقة ملك انجلترا وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها» [4] و يضيف العقيقي « أن هذا الرأي يؤيده الكثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق»[5].

فقد وضعت هذه التوصيات محل اهتمام الكثير من الباحثين فنشطت بذلك الدراسات الاستشراقية، فترجمت العديد من كتب التراث التي تتصل بالعقيدة و الشريعة و الفقه و الأصول من العربية إلى اللاتينية ترجمة علمية، ومن هنا نطرح السؤال الآتي:

ما أسباب الاستشراق؟ و مالباعث خلف دراساتهم للشرق عامة و للفكر الاسلامي من قرآن و حديث و عقيدة و شريعة خاصة؟.

---

1 المرجع نفسه، ص 141.

2 المرجع السابق، ص 14.

3 يوهاكفوك: تاريخ حركة الاستشراق، ص 14.

4 عبد الرحمن عميرة: الاسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ظلال الاستشراق، دار الجيل بيروت، دط، دت، ص22.

5 المرجع نفسه، ص 92.

4-أسباب و دوافع الاستشراق:

4-1-الأسباب الدينية:

إن المتمعن في الدراسات الاستشراقية يجد أن الدافع الديني هو الدافع الرئيسي لها، إذ أن السبب المباشر الذي لفت انتباه الأوروبيين إلى الاستشراق، وبذلك كان هذا السبب في الدرجة الأولى، وهو ما عكس إرادتهم لتشويه صورة الإسلام و إثبات أنه ليس بالدين الذي استحق الاتباع، فيعطي مرآة مشوهه للإسلام و تاريخه و حضارته و يصور المسلمين على أنهم سفهاء حتى يحمل كل متعلم في الغرب بداخله مستشرق و «تكمن الأهداف الدينية للدراسات الاستشراقية في عزل الأمة الإسلامية عن تراثها و تشويش رؤية المسلمين لتراثهم بهدف إحداث حالة من الانقطاع بين مسار الأمة التاريخي و الذوبان في الغرب، ومن ثم بدأ الاهتمام الاستشراقيبالإسلام لا من أجل اعتناقه و إنما من أجل حماية إخوانهم للنصارى منه».[1]

4-2-الدوافع الاستعمارية:

ومن أبرز خلفيات حركة الاستشراق غايته و دافعه في تسهيل معرفة الاستعمار لأحوال الشرق، و طرق السيطرة عليه و استغلال موارده إذ يعتبر «دافعه دعم الاستعمار الغربي لبلاد الشرق بإمداده بالمعلومات و تهيئة البيئة الشرقية لقبول المستعمر و الرضا به».[2]

ومن هنا فقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، و تحقيق دوافعه، و تمكين سلطانه في بلاد المسلمين و هكذا نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق و الاستعمار.

4-3-الأسباب العلمية:

للأسباب العلمية شأن عظيم في حركة الاستشراق، وقد اعترف بعض العلماء و كانوا منصفين و موضوعيين ببعض الجهود العلمية للمستشرقين الذين تبنوا موضوعات الشرقيات دون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية، «وكانت أول دراسة علمية

1 السيد فتحي الويشي: الظاهرة الاستشراقية و أثرها في المناهج الحديثة، ص 71.

2 محمد أحمد فرج عطية: طه حسين و الفكر الاستشراقي، ص 96.

صحيحة للإسلام في بداية القرن الثامن عشر على يد باحث هولندي هو "**هادريانريلاند**"».[1]

وهناك من المستشرقين من كان يرمي إلى هدم الثقافة الاسلامية وكان هدفه « محاولة تشويه صورة التاريخ الإسلامي و حضارته تحقيقا للأهداف العلمية للدراسات الاستشراقية».[2]

4-4-الأسباب الاقتصادية:

للأسباب الاقتصادية أثر في تنشيط الاستشراق رغبة في ترويج بضائعهم و شراء مواردنا إذ يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: «من الدوافع التي حرصت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا، و الهدف الاستيلاء على الأسواق التجارية و المؤسسات المالية و الثروات الأرضية واستغلال الموارد الطبيعية و الحصول عليها بأبخس الأثمان، و إماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الغربية».[3]

إذن نادى البعض بالسيطرة على المؤسسات المالية و الشركات و انتهاك الثروات الشرقية و تحويل الشرق إلى سوق استهلاك للمنتج الغربي.

5-اهداف الاستشراق:

و قد لخص مصطفى السباعي «أهداف المستشرقين على النحو الآتي:

1 -إخضاع النصوص للفكرة التي يرفضونها حسب أهوائهم.

2 -تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفا مقصودا.

3 -إساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف.

4 -تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها: ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، فهم يصححون ما يقوله الدميري في كتب الحيوان، و يكذبون ما يرويه مالك في الموطأ».[4]

---

1 المرجع السابق، ص 79.

2 المرجع نفسه، ص 81.

3 عبد الرحمن عميرة: الاسلام و المسلمون بين أحقاد التبشيريين و ظلال الاستشراق، ص 97.

4 المرجعنفسه، ص 125.

ومن أبناء الشرق من يسافر للغرب و يتلقى تعليمه هناك و يعيش في الوسط الثقافي الغربي، و يكتب و يدرس حول وطنه أو حضارته أو تراثه فتلمس العديد من الأفكار و الرؤى الغربية، و ذلك عند عرض منهاج الدراسة، و من بين هؤلاء: طه حسين، ومن هنا نتساءل كيف تسربت هذه الأفكار لطه حسين حين الوافدة من المستشرقين؟

وما مراكز اتصال طه حسين بالاستشراق؟

ثانيا: مراكز اتصال طه حسين بالاستشراق:

تميز انتاج عميد الأدب العربي طه حسين بالتنوع و الاتساع، فقد كتب كثيرا، بل إن ما كتبه يغطي مائة كتاب، فقد كتب في الاسلاميات و علم التربية و الاصلاح الاجتماعي و الابداع الأدبي، حيث كتب القصة و الرواية و السيرة الذاتية، وهذا راجع إلى ثقافة الرجل و مصادرها و تكوينها، إضافة إلى العوامل التي ساهمت في تكون فكر و عقل طه حسين، وفي عام 1898 حفظ القرآن الكريم، إلى جانب الهيئات و الأشخاص الذين كان لهم دور في تشكيل هذا العقل، حيث غادر قريته "عزبة الكيلو" في سنة 1902 و توجه إلى القاهرة طلبا للعلم في الأزهر، وبعد أن أدى امتحانا في القرآن، انتسب إلى الأزهر وحضر دروس المبتدئين واستمر على ذلك ثلاث سنوات، وسمع آخر درسين ألقاهما الشيخ محمد عبده في الأزهر في غضون شتاء سنة 1905م «وفي سنة 1907 بدأ الدروس مع الطلبة المتقدمين، فحضر دروس الشيخ محمد و حضر دروس الشيخ محمد حسنين العموي في المنطق و دروس الشيخ محمد حنين العدوي في المنطق، و دروس الشيخ محمد مصطفى المراغي في التوحيد و حضر دروس أصول الفقه على الشيخ محمد راضي، وهذا الشيخ يلقي دروسه في بيته بع أن أخرج من الأزهر، و يدرس لطلابه "سلم الثوب في أصول الفقه" و "سلم العلوم" في المنطق، و قرأ كتاب "التهذيب" على الشيخ محمد حسين العدوي و حضر شرح ابن عقيل على الألفية على الشيخ دراز» [1] وفي سنة 1908 بدأ يتبرم بالأزهر « فلم يكن يحضر غير درس الفقه في الصباح على الشيخ بخيت، و دروس الأدب على الشيخ سي المرصفي، و كان في البدء يلقيه في الضحى ثم ألقاه بعد ذلك في المساء، واستمر يقرأ عليه إلى أن منع الشيخ سي المرصفي من تدريس

1 المرجع السابق، ص 17.

الأدب، واستاء منه شيخ الأزهر هو وصاحبه أحمدحسن الزيات، و الشيخ محمود الزناتي، فأظهر طردهم، واستمر الطرد لمدة قصيرة، إذ توسط أحمد لطفي السيد (باشا) فأعيدوا، وكان يحضر أحيانا درس البلاغة في شرح السعد على " التلخيص" على الشيخ عبد الحكيم عطا، وفي ..... يثابر على التردد إلى دار الكتب». [1]، هذا عن التكزينالتراثب (التقليدي) أما التكوين العلمي الحديث (العنصر الأجنبي) فتمثل في:

1-الاتصال و التكوين الدراسي:

1-1-في مصر:

- **1908-1914م:**أنشأت الجامعة المصرية القديمة، حيث اتجه إليها طه حسين من البداية وبرز هذا الاتصال، حيث استقدمت الجامعة عددا من المستشرقين للتدريس بها، فدرس طه حسين عند هؤلاء الأساتذة فتلقى دروس

"**إجناسيوجويدي**IgnazioGuidi"في أدبيات الجغرافيا و التاريخ، و كان الأستاذ يدرس بالعربية و لضعف صوته كان له معيد يردد ما يقول، وعدل جويدي في المجيء إلى مصر وجاء " **ليتمان** Enno-Litmann"لتدريس اللغات السامية، فدرس السريانية و أصول العبرية و الحبشية ثم جاء **نالينو** وقد درس أولا**سانتلانا** تاريخ الفلسفة الاسلامية و كان له في نفسه أثر عميق لا يزال يذكره بالتقدير و الاجلال و كان يصحب سانتلاناإلى بعض دروس الأزهر، حيث بلغ الاتصال مبلغه، « إذ وصل إلى درجة المصاحبة كما حكا عن صاحبه سانتلاناله و مشاركته له في ذهابه إلى الأزهر و استماعه لطه وهو يحاور أساتذته من علماء الأزهر....فإذا لج طه المحاورة و عنّفه العلماء على لجاجته ترفق به صاحبه المستشرق و أشفق عليه و رجاه أن يسكت». [2]

- كذلك حضر دروس الأستاذ **ميلونين** في تاريخ الرق القديم و خصوصا تاريخ بابل و أشور و شومر.
- وكان طه حسين يفهم عن هؤلاء دون التواء أو عسر.

---

1 المرجع نفسه، ص 17.

2 محمد أحمد محمد فرج عيطه: طه حسين و الفكر الاستشراقي، ص 99.

-ومن ثم امتدت العلاقة ببعض هؤلاء المستشرقين إلى علاقة وطيدة كاسرة قوقعة علاقة الأستاذ بتلميذه « فعلى سبيل المثال يلتقي بالمستشرق **إينو ليتمان** مرات كثيرة في مواطن مختلفة، وكانت سعادة ليتمان بلقاء طه تفوق سعادة طه بذلك».[1]

-وقد أظهر طه حسين عن تأثره بطائفة المستشرقين في تلك المرحلة، و أنه استفاد منهم، وقد اعترف بذلك في مقدمة رسالته الجامعية التي عدها تحت عنوان "تجديد ذكرى أبي العلاء"، فهو يشيد بفضلهم قائلا: « أنشأتم الأدب في الجامعة، ودعي إليها جلة الأساتذة من المستشرقين في ايطاليا و فرنسا و ألمانيا، وانتسب لهذا القسم و أخذت أسمع الدروس فيه، فإذا ألوان من الدروس لم أعرفها من قبل و إذا فنون من النقد لم يكن لي بها عهد».[2]

ومما وثّق صلة طه حسين بهؤلاء المستشرقين عندما بدأيتعلم اللغة الفرنسية إذ كان من الضروري تعلمها لمتابعة الدراسة بالجامعة.

ثم استأنس من نفسه قدرة على متابعة الدروس التي تلقى بها، حضر دروس الأدب الفرنسي التي كان يلقيها الأستاذ "**لوي كيمانLouis- Clement**"حيث انتدب للتدريس في الجامعة المصرية آنذاك.

1-2-في فرنسا:

-**1914:**وفي هذه السنة قررت الجامعة إيفاده في بعثة إلى فرنسا، على ألا يسافر إلى باريس لقربها من ميدان الحرب، فسافر إلى مونبليه، وفي مونبليه اهتم خصوصا بدراسة اللغة الفرنسية وكان طه حسين -قد تعرف نوعا ما- على الوسط الفرنسي في بيئته المصرية قبل أن يسافر إلى فرنسا، وذلك من خلال الجامعة مما جعله مهيئا لتقبل الثقافة الأروبية وفي مونبليه حضر بعض الدروس في جامعتها، في علم النفس على فوكو و الأدب الفرنسي " **غوستاف لونسونG/ Lanson**"، و التاريخ الحديث على " **سينبوسSeignobos**"واهتم في الوقت نفسه بدراسة اللغة

1 المرجعنفسه، ص 99.

2 المرجع السابق، ص 100.

الفرنسية « وانقضى عليه عام و إذا بالجامعة التي أوفدته تستدعيه نظرا لظروف مادية كانت تعاني منها».[1]

و أثناء مكوثه مدة ثلاثة أشهر في مصر ذهب إلى الجامعة و استمع « إلى درس للشيخ محمد المهدي فلم يرقه و أعلن رأيه في "الشعور" مقارنا بين درس شيخه و دروس أستاذة الآداب الفرنسية التي سمعها في فرنسا».[2]

مما جعل الشيخ المهدي يغضب، و يطلب من مجلس إدارة الجامعة معاقبة هذا المتمرد بمحو اسمه من بين طلاب البعثة «و لم يظفر أهل الخير فيه بإصلاح الأمر و إرضاء الأستاذة و تمكين من العودة إلى فرنسا إلا بعد مشقة وجهد». [3] ثم انحلت أزمة الجامعة، فانصلح مركزها المالي و تقرر إعادة مبعوثيها «فعاد إلى فرنسا في شهر ديسمبر سنة 1915».[4]

فذهب هذه المرة إلى باريس والتحق بكلية الآداب بجامعة باريس و أخذ يتابع دروس اللغة الفرنسية، و بدأ في دراسة اليونانية و اللاتينية، و بدأ يفهم الدروس التي تلقى باللغة الفرنسية، فحضر التاريخ اليوناني على " **جلوتز Glotz**" و التاريخ الروماني على "**بلوك G.Block**" و التاريخ الحديث على " **سينوبوس Seignobos**"و حضر دروسا في علم الاجتماع أولا على "**إميل دوركهايم Emille.Durkheim**" الذي حضر تحت إشرافه رسالة عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون و بعد وفاة دوركهايم حضر على "**سلستان بوجليه Celestin.Bougle**"كما حضر دروس كازانوفا في تفسير القرآن، وكان يلقيها في معهد فرنسا College de France «وفي سنة 1917 استطاع الحصول على درجة الليسانس في الآداب من السوربون حضر دروس **لانسون** في الآدب الفرنسي و حضر دروس "**جيفي بريل Gevy.Bryhl**" عند ديكارت».[5]

---

1 محمد شوقي: تطور النقد المنهجي، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي (تخصص نقد أدبي حديث)، جامعة الجزائر، 2005-2006 ، ص 23.

2 محمد شوقي: تطور النقد المنهجي، ص 23.

3 عبد العزيز نبوي: دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 1424هـ-2003م، ص 9.

4 ماجد السمرائي: قراءة في فكر طه حسين، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص

5 طه حسين: العقل و الدين، ص 22.

كذلك فقد كان طه حسين يزور مكتبة القديسة جبنيفياف و كانت تصحبه إلى هناك الآنسة سوزان بريسو «وكانت هذه الآنسة –فيما بعد زوجته– بمثابة المعلم له، فعن فضلها يتحدث طه بقوله: كانت صديقتي أستاذا لي، عليها تعلمت الفرنسية و فقمت ما أستطيع أن أفقهه من أدبها و عليها تعلمت اللاتينية و استطعت أن أجوز فيها امتحان الليسانس و معها درست اليونانية، و استطعنا أن نقرأ معا آثار أفلاطون».[1]

إذن فزوجته سوزان أحاطت حياته بنحو من النظام و التركيز و التوازن وهذا ما أعانه فيما بعد على أداء دوره، في الجامعة و الفكر، فقد كانت هذه الفترة التي قضاها في فرنسا، بمثابة معلم أساسي مكن من اتصال طه بالثقافة الفرنسية و الفكر الفرنسي.

–1919: و عاد إلى مصر في أكتوبر سنة 1919، فعين مباشرة أستاذا للتاريخ القديم (اليوناني و الروماني)، و استمر في هذا المنصب حتى سنة 1925.

2–الاتصال بالمستشرقين في مرحلة العطاء:

2–1–العمل الجامعي:

كانت الجامعة المصرية القديمة عند إنشائها، تستقدم بعض المستشرقين للتدريس بها من ألمان و انجليز و فرنسيين، وامتد تدريسهم بها قرابة العشر سنوات، حيث عانت الجامعة من أزمة اقتصادية، مما دفعها إلى أن تستعين بالأساتذة الوطنيين للقيام بمهمة التدريس بها، ولما تهيأت أسباب العمل لطه حسين و تدرج في مراتبه عمل على فرض اللغتين اليونانية و اللاتينية على الطلاب، و أنشأ القسم الفرنسي و استقدم المستشرقين الأجانب للتدريس بالجامعة مرة أخرى، ولقد عورض هذا التوجه معارضة شديدة من المثقفين و العلماء خاصة، حيث استدعى أستاذه في الكوليج دي فرانس المستشرق كازانوفا «و معروف عن المستشرق أنه ممن يخلطون الأمور ببعضها، و يلبسون الحق بالباطل».[2] و لما عورض من ذلك قال (طه حسين): «أريد أن يعلم الناس جميعا أن الجامعة المصرية، حين تدعوا أساتذة من أروبا لإلقاء الدروس فيها لا تأتي بدعا من الأمر، و إنما تتبع في ذلك نهج الجامعات الأروبية الأمريكية، وهذا الرجل الذي دعته

1 محمد أحمد محمد فرج عيطة:طه حسين و الفكر الاستشراقي، ص 104.

2 المصدر السابق، ص 102.

الجامعة، ليس رجلا عاديا و إنما أستاذ حقا، و لقد أريد أن ب=يعلم الناس أين سمعت هذا الأستاذ يفسر القرآن الكريم تفسيرا لغويا خالصا فتمنيت لو أتيح لمناهجه أن تتجاوز باب الرواق العباسي و لو خلسة ليستطيع علماء الأزهر الشريف أن يدرسوا على طريقة جديدة نصوص القرآن الكريم من الجهة الخالصة على نحو مفيد حقا».[1]

2-2-اللقاءات المنزلية (الصداقة الشخصية):

تعدت علاقة طه بالمستشرقينعلاقة التلميذ و الدراسة أو مجرد الزمالة فكانت العلاقة شخصية امتدت لسنوات من حياته، نظرا للعلاقة المتينة التي تربطه بالعديد من هؤلاء المستشرقين.

وكان منزل طه المحطة الأولى بالقاهرة لكثير من المستشرقين و إذ تقول سوزان زوجة طه عن ذلك «عند تأسيس جامعة الدول عام 1925 اتخذ الطريق إلى بيتنا، الذي لم يهجره بالطبع أصدقاء القاهرة الأوفياء (تعني المستشرقين) قادمون جددا و هناك بدأت جلسات الأحد التي سرعان ما اتسعت كثيرا في الزمالك، كان طه خلالها قطبا حقيقيا من الجاذبية..... إذ ماكان الأساتذة الأجانب الذي كانوا يؤلفون أول فريق يصلون مصر حتى يأتوا بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم، و كان منهم العميد **جريجوار**، و الفيلسوف **إميل برهييه**، و عالم الآثار الانجليزي **جربيدو**، و الشخصية الساحرة **سكايف**، الذي كان شاعرا بقدر ما كان أستاذا للأدب الانجليزي ثم بعد ذلك **يلاندو سانياك**».[2]

ولم يكن منزل طه حسين مقصد المستشرقين فقط، بل قدم إليه وافدون جدد ليتعرفوا عل طه، و سرعان ما تقوى بينهم أواصر المحبة و المودة كما كان من المستشرق **أندريه جيد**، الذي تعرف على طه في منزله حين صحبه معه **غاشونفييت**، ولقد كان الكثير من كبار المستشرقين يحرصون على زيارة طه حسين في أيام مرضه الأخيرة، و يظهرون من التعاطف و الأسى الشيء الكثير إذ تقول سوزان «يمر **بلاشير** وكانت آخر مرة يمر فيها، فقد غدا الليل بالنسبة له تماما، و كان يتحمل المحنة بصبر

1 المرجع السابق، ص 102.

2 سوزان طه حسين: معك، دار المعرفة، سلسلة كتب أكتوبر، ب ت، ص 84.

راق و إني (سوزان) لأراه ثانية في المكتب يجلس على مقعده قريب من مقعد طه..... أظهر ذلك اليوم كما كانت صداقته حية عميقة ، و عندما قبّل طه على جبهته عند مغادرته له، كان ثمة حمية عفوية فاجأتني و أثّرت فيّ».[1]

أما عن بصمة تلك اللقاءات و الزيارات فتتحدث زوجته قائلة:« كانت أيامنا تلتهم بسرعة فائقة، إلا أن ذلك كان أخاذا و خاصة تلك اللقاءات التي كانت تتم بوجه خاص مع أناس قادمين من خارج مصر، و التي كانت تزداد بنسبة مثيرة، وكان ينتج عنها محاورات خصبة بالنتائج و تبادل الأفكار، و اسهامات مختلفة، بقدر ما كان ينتج عنها أيضا حجارة جديدة من أجل البناء الذي كان طه يتابع إنشاءه بكتبه و نشاطه»[2].

2-3-حضور المؤتمرات الاستشراقية:

نظرا للصلة القوية بين طه حسين و بعض المستشرقين، و لعلاقتهم الوطيدة به، فقد كانوا يقومون بدعوته، لحضور مؤتمراتهم العلمية «و لعل أول مؤتمر شارك فيه طه هو مؤتمر العلوم التاريخية و الذي عقد في بلجيكا، في التاسع من أبريل سنة 1923، و الذي حضره ألف ــو يزيد من العلماء المعنيون بالتاريخ».[3]

إلا أن طه حسين تأسف لعدم قدرته من متابعة كل أعمال المؤتمر، إذ كان المؤتمر يلقى في الساعة الواحدة، وفي أكثر من عشرين غرفة، مما جعله يحزن على كثير من خطب المستشرقين التي لم يحضرها، و يقر طه حسين أنه استفاد من هذا المؤتمر أعظم الاستفادة، «كما شارك طه حسين في مؤتمر اوكسفورد و الذي عقد عام 1928 و ألقى به محاضرة عنوانها "ضمير الغائب و استعماله اسم الإشارة في القرآن"».[4]

وقد انقسم جدول أعمال هذا المؤتمر إلى: الدراسات المصرية القديمة، الدراسات الآسيوية البابلية، و آثار الشرق الأدنى و العهد القديم، و آثار الكتاب المقدس، و الشرق المسيحي، و بيزنطية، و الدراسات السامية و الدراسات الاسلامية (اللغة و الأدب) و الدراسات الاسلامية (التاريخ و الفن) و الدراسات التركية و الدراسات الخاصة بإيوان و

1 المرجع نفسه: ص84

2 المرجع السابق: ص84

3 محمد أحمد محمد فرج عيطة: طه حسين و الفكر الاستشراقي، ص 110.

4 المرجع نفسه، ص 111.

القوقاز و ما جاورهما و الدراسات الهندية و دراسات آسيا الوسطى، و دراسات آسيا الشرقية، و دراسات آسيا الشرقية و الجنوبية، و الدراسات الافريقية.

«وفي مايو سنة 1960 اختير طه حسين ممثلا لمصر في مؤتمر الحضارة المسيحية و السلام في فلورينا، و الذي نظمه **جيوجيولابيرا** الذي كان عمدة لفلورنسا آنذاك».[1]

وقد ألقى طه كلمة في هذا المؤتمر أثارت إعجاب أعضاء الأسرة الصحفية في فلورنسا يتجلى مغزاها في عقد روابط الأخوة بين العالم الاسلامي و العالم المسيحي، ذلك لأنه لا لوجود في نظر الله، لشرق أو غرب ولا لجنوب أو شمال و أن الله يعدل بين جميع الناس، ومن ثم يطالبهم طه حسين بمحاسبة أنفسهم.

إضافة إلى هذه المؤتمرات فقد كان طه حسين يقوم بأسفار متعددة مما جعلها نقطة التقاء مع كثير من المستشرقين و التحدث إليهم.

1 سوزان طه حسين: معك، ص 198.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي

أولا: تقديم كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين

1-الشكل الخارجي للكتاب

2-مضمون الكتاب

3-منهج البحث

ثانيا: أسباب نحل الشعر الجاهلي عند طه حسين

1-السياسة

2-الدين

3-القصص

4-الشعوبية

5-الرواة

ثالثا: مصادر منهج الشك والنحل في تقييم طه حسين للشعر الجاهلي

1-ديفيد صمويل مرجيليوث

2-رينولد نيكلسون

3-طه حسين والاستشراق لقاء أم افتراق(دوافع شك طه حسين في الشعر الجاهلي)

اتصل المثقفون في العالم العربي الإسلامي بالمستشرقين اتصالا مباشرا عن طريق البعثات التعليمية في الجامعات الأوروبية، فتعلموا عليهم وأخذوا بمنهجهم ونشروا المنتقى من أعمالهم، ونقلوا عنهم إلى العربية المئات من مصنفاتهم، ومن مشاركات العديد من الأفكار والرؤى الغربية حيال القضايا التراثية، ومن هذه الزاوية احتاج الفكر العربي إلى دراسة عميقة نستطيع من خلالها أن ندرك أثر الاتصال الفكري بين المفكرين العرب والمستشرقين، ومن هنا وجدت كتابات تتناول الشعر الجاهلي وقضاياه.

ومن بين هذه المؤلفات كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين، وهو الكتاب الذي شكل معلما أساسيا من معالم طه حسين.

أولا: تقديم كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين:

1-الشكل الخارجي للكتاب "في الشعر الجاهلي":

- **المؤلّف:** طه حسين

-**المؤلَّف:** في الشعر الجاهلي

- **الطبعة** :نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار المعارف سوسة-تونس- التاريخ (دط)(دت)

- **عدد الصفحات:** 195 صفحة

- **قراءة في العنوان** :"في الشعر الجاهلي"

اختار طه حسين لكتابه هذا عنوانا وهو "في الشعر الجاهلي" والملاحظ أن طه حسين استهل عنونته بحرف الجر "في" وهذا الحرف يحمل عدة معان، لكن المعنى الذي أداه في هذه العبارة هو الظرفية، فطه حسين اختار هذا الحرف دون سواه من حروف الجر لأنه قصد الولوج في كينونة الشيء، ثم أردف حرف الجر "في" لفظة "الشعر" و هي لفظة خاصة تنطوي تحت لفظة عامة هي "الأدب"، فيكون طه قد حدد وبدقة مجال بحثه و دراسته و هو الشعر، و لكي يحدد زمنيا الفترة التي ستختص بها دراسته قال "الجاهلي" و بهذا يكون طه حسين ومن خلال عنوانه قد حدد بدقة مجال و زمن دراسته وهو الشعر الجاهلي.

2-مضمون الكتاب:

هذا الكتاب هو كتاب نقدي تناول فيه طه حسين عدة قضايا نقدية تخص الشعر العربي وقد قسم كتابه إلى ثلاثة كتب كل كتاب تناول قضية معينة:

الكتاب الأول: "الجاهليون، لغتهم و أدبهم":

•مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس في القرآن الكريم:

تحدث طه حسين في هذا العنصر عن الحياة الجاهلية أو عصر ما قبل الإسلام، و قد أقر أنه لا ينكر الحياة الجاهلية لكنه يرفض أن يمثل الشعر الجاهلي هذه الحياة، فهو يؤكد أنه من أراد أن يكشف أغوار هذه الحياة وتفاصيلها عليه أن يعود إلى نص القرآن، لأنه أصدق مرآة للعصر الجاهلي ثم العودة إلى الشعر الأموي، لأن حياة العرب ظاهرة في أشعار جرير، الفرزدق، والأخطل لا في شعر عنترة، و امرئ القيس و الأعشى.

•الشعر الجاهلي و اللغة:

يعود طه حسين دائما إلى التاريخ و إلى كلام الرواة، فيقول إن الروايات تقول بأن لغات القبائل العربية كانت متباينة، كذلك لهجاتهم، كما ثبت أن العرب كانو ا متقاطعين، و متناحرين و لم يكن هناك من الاتصال بينهم لتوحيد لهجاتهم، حتى جاء الإسلام ووحد لغتهم بلغة القرآن و يطرح طه حسين السؤال: فكيف يعقل أن يكون هذا التباين في لهجات القبائل العدنانية و في لغتها موحد اللغة في الشعر الجاهلي؟.

•الكتاب الثاني: تناول فيه أسباب نحل الشعر الجاهلي (السياسة، الدين، القصص، الشعوبية، الرواة)،

وهو ما ستتعرض له ضفحاتنا اللاحقة.

الكتاب الثالث: "الشعر و الشعراء":

•قصص و تاريخ:

في هذا العنصر يؤكد طه حسين على ضرورة عدم الاطمئنان إلى ما وصلنا من شعر جاهلي وأخبار للشعراء الجاهليين هذا لأنه لم يصلنا عن طريق قصص تاريخية صحيحة، بل وصلنا عن طريق قصص وأساطير وأخبار وروايات اصطبغت بالفكاهة واللعب والتكلف والانتحال.

•امرئ القيس، عبيد، علقمة:

شكك طه حسين في هؤلاء الشعراء و حتى في وجودهم و أخذ يسرد أدلة تثبت ما زعم إليه.

– أما عبيد فتقول الروايات أنه إنسان صاحب كرامات و خوارق...

– أما علقمة فقد رويت له قصائد تضمنت أبياتفيها رقة و معان إسلامية ظاهرة.

وتناول في هذا الكتاب كذلك كل من شعر عمرو بن قميئة، المهلهل، جليلة إضافة إلى: شعرع مر بن كلثوم، الحارث بن حلزة.

إلى جانب: شعر طرفة بن العبد، المتلمس.

وأخيرا: شعر الأعشى.

3–منهج البحـــث:

ملم لاشك فيه أن الفكر المسيطر على طه حسين هو الفكر الديكار تي، و أن الشك المنهجي هو الذي دفعه إلى كتابة"في الشعر الجاهلي"، وأن هذا الشك الديكارتي هو الذي يميز الكتاب؛ إذ يقول طه حسين: «أحب أن أكون واضحا جليا، وأن أقول للناس ما أريد أن أقول دون أن أضطرهم إلى أن يتأولو ا ويتمحلوا ويذهبوا مذاهب مختلفة، في النقد و التفسير و الكشف عن الأغراض التي أرمي إليها» [1] وقد سلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم و الفلسفة، و أنه يريد أن يصطنع في الشعر و الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث و الناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي : أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، و أن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما، و هذا المنهج سخط عليه أنصار القديم

1– طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للنشر والطباعة سوسة–تونس– (دط) (دت) ص11.

2– المصدر نفسه:ص13

في الدين و الفلسفة يوم ظهر قد كان من أخصب المناهج، و أقومها و أحسنها أثرا، و أنه قد جدد العلم و الفلسفة تجديدا، و أنه غيّر مذاهب الأدباء في أدبهم، والفنانين في فنهم و أنه الطابع الذي يمتاز به هذا العصر الحديث إلى جانب أن طه حسين يطلب من أولئك الذين لا يستطيعون أن يبرءوا من الأفكار المسبقة، و من العواطف و الأهواء ألا يقرأوا كتابه لأنه لن يفيدهم في شيء، ماداموا لن يتحرروا من الماضي و رواسبه[1].

ثانيا: أسباب نحلي الشعر الجاهلي عند طه حسين (السياسة، الدين، القصص، الرواة، الشعوبية):

أخذ طه حسين يتحدث عن الأسباب الداعية لانتحال الشعر، فأتى بمقدمة معنونة ب "ليس الانتحال مقصورا على العرب"، و هذه الأخيرة مقارنة تتحدث عن الرومان و اليونان، يثبت فيها ما حققه المؤرخون من انتحال واضح في قديم المأثور، من أدب هذه الأمم، فذكر أننا لابد أن نصطنع المنهج العلمي، كما يصطنعه أبناء الغرب، سواء رضينا أم كرهنا، و أن لدينا عقليات تؤثر القديم و لابد أن تتطور، و أن الجهود الفردية أخذت نتيجة إلى البحث الغربي ولابد أن يكون هذا الاتجاه جماعيا لا فرديا «و سواء رضينا أو كرهنا فلابد أن نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدبي، كما تأثر من قبلنا به أهل الغرب ولابد أن نصطنعه في نقد آدابنا و تاريخنا كما أصطنعه أهل الغرب في نقد آدابهم و تاريخهم ذلك لأن عقليتنا نفسها قد أخذت منذ عشرات السنين تتغير وتصبح غربية، أو قل أقرب إلى الغربية منها إلى الشرقية»[2]، و ذهب طه حسين إلى أن النحل ـــ ومعناه عزو النصوص الأدبية القديمة إلى غير أصحابها من الأقدمين ـــ قاصرا على الشعر بل اتسع نطاق النحل حتى شمل فنون الادب الأخرى، أما الوضع ـــ ومعناه اختلاف النصوص في زمان متأخر و عزوها إلى الأقدمين ـــ ليؤكد أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة بالعرب «فلن تكون الأمة العربية أول أمة انتحل الشعر فيها انتحالا وحمل على قدمائها كذبا وزورا، و إنما أنتحل الشعر في الأمة اليونانية والرومانية من قبل وحمل على القدماء من شعرائهم»[3].

1-السياسة:

1 المصدر نفسه، ص13

2- المصدر نفسه، ص 58 .

3- االمصدر نفسه:ص 56 .

وأولها الدوافع السياسية وكان يعني بها –طه حسين– ما حدث بين المهاجرين الأنصار، ويورد تأييدا لذلك ما روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه نهى عن رواية الشعر الذي تهاج ى به المسلمون والمشركون أيام النبي محمد (صلى الله عليه و سلم)، و تثبت هذه الرواية نفسها برواية أخرى، و هي أن قريش و الأنصار تذاكروا ما كان بينهم من ذلك الشعر لأنهم وجدوا فيه اللذة و الشماتة [1].

من ثم يجد طه حسين بعد أن استقرأ الأحداث التاريخية التي رافقت ظهور الإسلام «العصبيات القبلية» والتي برزت في البداية، في صورة صراع سياسة بين قريش و الأنصار، ثم ما لبث هذا الصراع حتى هدر دما في غزوتي بدر وأحد «وحينئذ، تدخل الشعر وتهاجى الطرفان، كل يدافع عن أنسابه ويعبر عن أحقاده متزيدا من الأشعار التي ينسبها إلى الجاهلية ليفاخر بها خصومة» [2].

– وذلك ما جعل القبائل في فترة صراع على الخلافة تستكثر لنيل المجد، فكانت بذلك كل واحدة منها في سبيل الظفر بالحكم أو تحرص على شيء منه «وأن قريش نظرت فإذا حظها من شعر قليل في الجاهلية – على حد قول ابن سلام– فاستكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجى فيه الأنصار» [3].

و لا يكتفي طه حسين بذلك بل يضيف أنه لا يقف عند استخلاص هذه النتيجة و تسجيلها، و إنما يستخلص منها قاعدة علمية، وهي أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهليا أن يشك في صحته، كلما رأى شيئا من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق و ي ؤيد طه حسين قوله هذا استنادا إلى الأحداث التاريخية بقوله لما قتل عمر وانتهت الخلافة بعد المشقة إلى عثمان، تقدمت الفكرة السياسية التي كانت تشغل أبا سفيان خطوة أخرى فلم تصبح الخلافة في قريش فحسب، بل أصبحت في بني أمية خاصة، و اشتدت عصبية قريش و اشتدت عصبية الأمويين، و اشتدت العصبيات الأخرى بين العرب وبذلك «فشلت هذه الخطة التي كان يخ ططها عمر وهي م نع العرب أن يتذاكروا ما كان بينهم من الضغائن قبل الإسلام، وعاد العرب إلى شر مما كانوا فيه في جاهليتهم من التنافس والتفاخر في جميع الأمصار الإسلامية» [4].

1– ينظر: المصدر السابق: ص65.

2– المصدر نفسه: ص66 .

3– المصدر نفسه : ص 68 .

4– المصدر نفسه، ص 68 .

02 – الديـــن:

يرى طه حسين أن الدوافع السياسية مازجت الدوافع الدينية، التي اتخذت صورا و أهدافا متعددة وكان يقصد بهذا النحل، إما إثبات صحة النبوة و صدق النبي(صلى الله عليه وسلم)، و ما يتصل بذلك من تعظيم أسرة النبي (صلى الله عليه وسلم) و نسبه في قريش، أو ما وضع تمهيدا لهذه النبوة وما يتصل بها من أخبار وأساطير لإقناعهم بأن كهان العرب واليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي يخرج من قريش، بل هناك نوع من الشعر أطيف إلى الجاهليين من عرب الجن، إرضاء لحاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء، أو ما وضع من شعر تعظيما بشأن النبي (محمد صلى الله عليه وسلم)، و إلى جانب هذا النحل هناك نوعا آخر هو ما وضعه علماء الدين والاستشهاد به على لغة القرآن حين كانوا يختلفون في تأويل نصوصه «فالمعتزلة يؤيدون مذاهبهم بشعر يضعونه على الجاهليين و غيرهم من أصحاب المقالات ينقضون مذاهب المعتزلة بشعر يضعونه على الجاهليين»[1].

– أما ما كان بسبب الحركة العلمية بعد اتصال العرب بالأمم المغلوبة فأرادوا هم والموالي أن يدرسوا القرآن درسا لغويا، يثبتوا صحة ألفاظه ومعانيه، أو ما كان بسبب الخصومات بين علماء الدين «فما كان من وضع على أحاديث من كان على دين الحنيفية دين إبراهيم (عليه السلام) لإثبات قدم الإسلام في بلاد العرب و ليه حمل كل ما يوجد من الأخبار والأشعار والأحاديث، التي تضاف إلى الجاهليين والتي يظهر بينها و بين ما جاء في القرآن والأحاديث، من شبه قوي أو ضعيف» [2].

– وتحدث طه حسين كذلك عن الديانتين اليهودية والنصرانية و انتشارهما في البلاد العربية ولا يكون لهما أدنى أثر ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام «فالأمر مع اليهود والنصارى أن يتعصبوا لأسلافهم من

1–المصدر السابق : ص 91 .

2– المصدر نفسه : ص92 .

الجاهليين، ويروا الشعر كما للوثنيين، فنحلوا كما نحل غيرهم و أضافوا أشعارا إلى السموأل بن عاديا و إلى عدي بن زيد و غيرهما من شعرائهم»[1].

– ويعرض طه حسين طائفة من الشعراء الذين شكك في صحة شعرهم وما نحل عليهم وأضيف إلى شعرهم، أو التيشكيك في شخصيتهم و شاعريتهم أو اضطراب شعرهم و اختلاطه مع شعر غيرهم من الشعراء.

– فيقدم لهؤلاء الشعراء وهم امرئ القيس وعلقمة وعبيد بن الأبرص وعمرو بن كلثوم وطرفة ابن العبد والمتلمس والأعشى[2].

و كما استغلت السياسة و العصبية و أ سغل الدين لوضع الشعر و حمله على الجاهليين كذلك أ سغل "فن القصص".

3– القصص:

و الدافع الثالث إلى النحل أدبي فني خالص، يتصل بالأخبار و القصص القديمة، التي كان العرب حراصا على روايتها و حراصا على تحميلها بالشعر ليكون وقعها في النفوس أعمق وأعلق من القصص الخالصة وذهب طه حسين «إلى أن بعض القصاص كانوا يستعينون بأفراد من الناس يلفقون لهم الأخبار وبآخرين ينضمون لهم الأشعار ليزينوا بها قصصهم أو ليفسروا بها ذلك القصص» [3].

ولهذا فطن له، كما يقول طه حسين، الخلفاء و الأمراء في العصرين الأموي والعباسي، فاستغلوه لأغراضهم السياسية ومن هنا شك طه حسين في صحة هذا القصص بنوعيه الخيالي الشعبي "كألف ليلة وليلة" و"سيرة عنترة" وفي القصص التاريخية أيضا "كحرب البسوس"، "داحس"، "الغبراء"، و "الفجار" وما إليها «فأيام العرب ما وضع فيها من أشعار، ما هي إلا توسيع الأساطير و ذكريات، كان العرب يتحدثون بها قبل الإسلام»[4].

1– المصدرنفسه : ص92، 93 .

2 ينظر المصدر السابق، ص 97 .

3 ينظر: المصدر نفسه، ص105 .

4 المصدر نفسه : ص 106 .

ومن هنا يذهب طه حسين في شكه إلى أبعد من ذلك، فيرى أن القصص الذي كان يقص للناس في المساجد عن أخبار العرب و العجم و أخبار السيرة ما هي إلا أداة و وسيلة لتحقيق أغراض سياسية.

– ويستدل طه حسين على تلفيق القصص وما فيها من أشعار ويسندها إلى الجاهليين بنص تاريخي يرى أنه يؤكد شكه، وهو ما رواه ابن سلام الجمحي عن " ابن إسحاق"، صاحب السيرة بأنه ك ان يعتذر للرواة المحققين عما رواه في السيرة من غثاء الشعر أي من الشعر الهزيل الموضوع و يقول: «لا علم لي بالشعر، إنما أوتى به فأحمله»[1]. فقد كان هناك قوم يأتون بالشعر و كان هو يحمله.

–إذن فقد صح لطه حسين أن بعض الناس، كانوا يلفقون الأشعار ويبيعونها للقصاصين، وكان ابن إسحاق واحدا من الذين حمل إليهم الشعر الملفق فحمله.

4–الشعوبية:

و للشعوبية التي اتخذت مظهرا سياسيا و اجتماعيا في آن واحد أثرها القوي في نحل الشعر، إذ ق ال طه حسين «نحن نعتقد أن هؤلاء الشعوبية قد نحلوا أخبارا، وأشعارا كثيرة وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين، و لم يقف أمرهم عن نحل الأخبار والأشعار بل هم قد اضطروا خصومهم و مناصريهم إلى النحل والاسراف فيه»[2].

– و مما كتبه طه حسين في "الشعوبية" أن الفرس والعرب كانوا من التحاقد وال بضاغن، ح تى بعد أن وحدهم الإسلام فبات كل فريق منهم يتربص بالفريق الآخر الدوائر، ومن ثم أحدثت هذه الخصومة آثار ا بعيدة المدى في حياة المسلمين السياسية لا عن وفاء وحسن نية، بل لكسب الدراهم، وقد ت ذرعوا بذلك حتى إلى قرابة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم –، فالشعوبية في مظهرها السياسي الأول قد حملت الفرس على انتحال الأشعار والأخبار وأكرهت العرب على أن يلقوا هذا الانتحال بمثله[3].

1– المصدر نفسه: ص108.
2– المصدر السابق : ص118 .
3– المصدر نفسه : ص 124 .

– و من ثم قوّلو ا العرب الجاهليين ما لم يقولوه من شعر، في مدحهم والاستناد بذكرهم، فاضطر العرب لأن ينحوا نحوهم، في وضع الشعر المناقض لمزاعمهم، «على أن هذه الشعوبية لم تلبث أن استحالت بعد سقوط الأمويين و قيام سلطان الفرس على يد العباسيين إلى خلاف له صورة علمية أدبية»[1].

ويقصد أنه بعد سقوط الدولة الأموية إلى خلاف علمي حملت الفريقين على الاعتراف في انتحال الشعر، والأخبار الكاذبة بما أن أكثر العلماء الإسلاميين كانو ا من الفرس، – على حسب رأي طه حسين– ووزراء الدولة من الفرس، فقد أخذوا يقيمون الأدلة على أن الأمر قد عاد إلى أهله، وأن العرب لا يستحقون تلك السيادة التي كانوا قد حصّلوها ثم زالت منهم وكان هؤلاء العلماء يمضون في ازدراء العرب إلى غير حد في دينهم، فإن الزندقة و تفضيل المجوسية على الإسلام كانت إذ ذاك أثرا من آثارهم.

5– الرواة:

و يعني طه حسين بهذا الدافع مفاخرة الرواة بما يحفظون، و يعده من أخطر الأدوار في النحل و التزييف التي عبت بالشعر الجاهلي، ويحمل هذا العبث اثنين من أشهر الرواة وأمهرهم في الوضع، الأول: "حماد الراوية" زعيم أهل الكوفة في الرواية و الحفظ، و الثاني: "خلف الأحمر" زعيم أهل البصرة.

إضافة إلى رغبتهم في التكسب بشعر يخترعونه و يتوددون به إلى ذوي الثراء و الشأن، لا سيما بعض رواة القرن الثاني و مما استدل به طه حسين عبثهم بالأدب العربي (حماد الراوية و خل ف الأحمر هو أن كلاهما كان سكيرا ماجنا كاذبا وصاحب لهو ، عبث، ومجون، ولذلك فهو لا يقبل روايتهما ولا يصدقها في شيء[2].

و يضيف طه حسين أن "المفضل الضبي" قد قرر أن الفساد الذي ألحقه "حما د الراوية" بالشعر يستحيل إصلاحه، و أن ما نحله على الجاهليين خاصة، أنه أول من جمع أشعار العرب، لا يمكن تمي يزه إلا عند عالم

1– المصدرنفسه : ص 126 .

2– ينظر :المصدر السابق : ص 130 .

ناقد، و مما يستدل طه حسين على رأيه قول ابن سلام: «وابن سلام ينبئنا بأنه وضع لأهل الكوفة ما شاء الله أن يضع لهم»[1].

– و يتحدث طه حسين على حماد الراوية فيقول أنه شك في آخر أيامه، فأنبأ أهل الكوفة بما وضع لهم من شعر، و اعترف أنه وضع "لامية العرب" على الشنفرى.

– و يضيف طه حسين إلى قائمة الرواة الثقاة "أبو عمرو الشيباني" والذي كان يؤجر نفسه للقبائل.

– و هناك طائفة من الرواة، غير هؤلاء اتخذوا من النحل وسيلة للتكسب وهم "الأعراب" الذين كان الرواة يرتحلون إليهم في بواديهم، ليأخذوا عنهم الشعر الجاهلي، و قد تفطن العلماء لتزيدهم و كذبهم في الشعر «فأخذ هؤلاء الأعراب يكذبون، وأسرفوا في الكذب، حتى أحس الرواة أنفسهم ذلك»[2].

و يضيف أن « الأصمعي يحدثنا عن أحد هؤلاء الأعراب و اسمه أبو ضمضم أنه أنشد لمائة شاعر، أو ثمنين شاعرا كلهم يسمى عمرا، قال الأصمعي: فقعدت أنا و خلف الأحمر فلم نقدر علة ثلاثين»[3].

– و من هنا انتهى طه حسين –كما رأينا– إلى أن الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي منحولة على الجاهليين بعد الإسلام للأسباب التي عينها وشرحها.

ثالثا: مصادر منهج الشك و النحل في تقييم طه حسين للشعر الجاهلي:

سنعرض تحت هذا العنوان الدراسات التي قدمها المستشرقان " **ديفيد صمويل مرجليوث**"و " **ريجولد نيكلسون**" بشأن صحة وجود الشعر العربي القديم و نعني الشعر الجاهلي و بيان ما كان لهما من آراء بصدد ذلك و التطرق إلى مدى تأثر طه حسين بأفكار و جهود هذين المستشرقين و مدى تطابق تشابه ما توصلوا إليه، و ما عرضه طه حسين في أسباب نحل الشعر الجاهلي، دوافعه في شكه في صحة هذا الأخير.

1–آراء المستشرق: ديفيد صمويل مرجليوث:

1– المصدر نفسه، ص133 .

2– المصدر نفسه، ص 165 .

3– المصدر نفسه، ص135 .

في مقالته "أصول الشعر العربي" التي نشرها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة 1995، تحدث مرجليوث عن أمور كثيرة تتعلق بالقرآن الكريم، و الرسول(صلى الله عليه وسلم) و الموقف من الشعر والكهانة، والرواية وكيفية حفظ الشعر، وإنكار وجود كتابة في الجاهلية، كما أنكر أن يكون الشعر نقل بالرواية الشفوية، وشك في مرويات الرواة، وقدم كل ذلك ليصل إلى إنكار الشعر الجاهلي، و قد استدل في رأيه هذا إلى مجموعة من الأدلة أهمها:

أ/ إن الشعر إما أن يحفظ بالكتابة أو بالرواية، وبقاءه طيلة تلك المدة الطويلة ثم مجيء الإسلام، فكيف يكون ذلك وقد ضاع معظم الشعر بعد اعتناق هؤلاء الإسلام وإن منهم من قتل أو مات، و لم يبقى من الشعر إلا القليل على لسان الرواة.

فإن كانت الرواية هي السبب في حفظ الشعر، فكيف للشعر أن يبقى مرويا؟ لا سيما بعد نزول القرآن الذي ازدرى الشعراء ومن يتبعهم، ومن هنا فهذا يوضح الشيء الأكيد من أن الشعر الجاهلي قد نسي إضافة إلى أن الأشعار، كانت تتغنى بانتصارات قبيلة تثير الشحناء ولما كان الإسلام جاء لتوحيد العرب فإنه كان يحث على نسيان هذا الشعر «كذلك كان ينظر إلى الأعراب على أنهم قوم لا يوثق بهم و لا بما يروونه من أشعار، ومن هنا فإن الروايات الشفوية التي تصل عن طريقهم لا تتمتع بكبير مصداقية»[1].

و يبقى الاحتمال الآخر و هو أن تكون هذه القصائد قد حفظت عن طريق الكتابة، وعلى هذا فربما لا يكون هناك شيء يتعارض مع ما تقوله هذه القصائد، إذا م ا تخلينا أنها كانت تتداول عن طريق الكتابة، إلا أنه أنكر أن يكون الشعر قد حفظ بالكتابة لسببين.

•الأول:

إن القرآن نفى أن يكون للجاهليين كتاب، ولو أن الشعر الجاهلي كان مكتوبا لوصلت كثيرا من الكتب «فوجود أدب جاهلي فصيح مصوغ بلهجة القرآن ومكتوب بالخط المسند أو بغيره يتناقض فيما يبدو، مع أقوال القرآن و افتراضاته إلى الحد الذي لا يمكن قبوله معه»[2].

1- ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، تر إبراهيم عوض، دار الفردوس، دط، 1428هـ- 2006م، ص26.

2-المصدرنفسه : ص30 .

•**الثاني:**

إن الأدب يتطور من الشذوذ إلى الانتظام و إن الشعر، والذي قيل إنه جاهلي هو مرحلة تالية للقرآن، لأن القرآن سجعا، و بعض الآيات فيها وزن فينبغي أن يكون الشعر تطورا للقرآن لا سابقا عليه «فإن عملية التطور الأدبي تقوم عادة إن لم يكن دائما على الانتقال من الشاذ المضطرب إلى القياسي المنتظم» [1] إلى جانب أن «كلا من الأسلوبين العربيين الأدبيين، و هما السجع و الشعر، يمتان ببعض المشابهة للأسلوب القرآني»[2].

ب/ ويطرح "**دافيد صمويل مرجليو ث**" مشكلة نحل الرواة، و عدم مصداقيتهم كالذي عرف عن حماد الراوية، الذي عرف بنحل الشعر و أنه أفسد الشعر إفسادا لا إصلاح معه، وكيف يؤخذ الشعر من هكذا رواية، وكذلك الشأن بالنسبة للرواة الآخرين أمثال خل ف الأحمر الذي كان سيء السمعة أيضا، أو أبو عمرو بن العلاء فقد عرف بالنحل أيضا «وكحماد كان رواة الشعر الأقدمون في غالبيتهم أشخاصا منعدمي الضمير تقريبا في أمور الوضع والتزييف» [3]، وكذلك «وبعد حماد الراوية بفترة ما يجيء خل ف الأحمر و الذي كان شيخا لمعظم مشاهير الرواة، لقد كان هو أيضا ذا سمعة سيئة»[4].

ج/ ويرى مرجليوث أن الإسلام حدث عظيم، و انفصال عن الماضي، و لم يكن الإسلام متسامحا مع الوثنية بأية حال بينما نجد الشعر لسان الوثنية فكيف يحفظون أشعارا تمجد نظاما أبطله الإسلام.

د/ في الشعر إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن، وفيه كلمات إسلامية، وهؤلاء الشعراء لا يمثلون الدين الجاهلي وليس فيه جو الآلهة المتعددة بل فيه لتوحيد، وإن هؤلاء الشعراء يقسمون كالمسلمين بالله الواحد وبالصفات التي ذكرها القرآن، وهؤلاء الشعراء موحدون ومطّلعون على أمور لا يعرفها إلا القرآن إذ يقول: «و مع ذلك نجد في الشعر المفروض أنه جاهلي ندرة في الكلام عن الكتب و التقاليد النصرانية، حتى عند أولئك الشعراء الذين يقال إنهم قد أصابوا شهرة في بلاط نصراني... وبالرغم من كثرة الحلف

1- المصدر السابق، ص 32 .
2- المصدرنفسه، ص 32 .
3- المصدر نفسه، ص 40 .
4- االمصدر نفسه، ص 42 .

عند الشعراء الجاهليين فإنهم لا يقسمون تقريبا إلا بالله، و هو قسم منتشر حقا في دواوينهم بل إن عبيد بن الأبرص ليستخدم الأسلوب القرآني في قسمه»[1].

2- آراء المستشرق "رينولدنيكلسون":

يتحدث في كتابه "تاريخ العرب الأدبي" عن الشعر ا لمرجول و عن رواية الشعر الجاهلي وحفظه عن طريق الرواية الشفوية يقول "نيكلسون" «إن الشعر الجاهلي حفظ عن طريق الرواية الشفوية، وإن الأشعار التي تمجد قبيلة الشاعر، أو تهجو أعداءها، كانت تنشد باستمرار من لدن أفراد القبيلة و بهذه الطريقة حفظت قطع و قصائد كاملة»[2] ولكنه يتساءل: ما الذي يضمن أن هذه الأشعار التي عاشت مدة طويلة و رواها الرواة، لم يدخلها التغيير، إن نظام الرواة عند العرب يشبه الشعراء المتجولين في اليونان، وكان لكل شاعر راوية يحفظ عنه شعره ويرويه، وكانت هناك روابط قرابة أو تلمذة بين الشعراء والرواة وقد أصبحت الرواية فنيا بعد مهنة، بعد أن كانت هواية وأصبح الرواة يكونون طبقة مميزة مستقلة، تحمل في ذاكرتها ذخيرة هائلة من الشعر القديم والثقافة المتنوعة، وكان الخلفاء يجزلون لهم العطاء والهبات «و هكذا استمرت الرواية الشفوية حتى نهاية القرن الأول الهجري حيث بدأ التدوين، ولكن الراوية الشفوية لم تتوقف وبقي الكثير من الشعر القديم، قد فقد دون أمل للعثور عليه، كما هلك عدد من الرواة في الحروب أو ماتوا دون أن يودعوا محفوظاتهم في صدر من سيسلف عملهم»[3].

-و يتعرض "**رينولد نيكلسون**" للحديث عن ظهور الإسلام و انشغال المسلمين عن الشعر القديم و عن الاهتمام به، لأنه في نظرهم كان يمثل الروح الوثنية، فانصرفوا إلى القرآن والحديث لكن لغة القرآن أصبحت غريبةبعد مدة وجيزة بالنسبةللمسلمين في العراق و الشام و خراسا ن و مصر، مما استدعى المسلمين إلى تفسير القرآن و الحاجة إلى اللغة و النحو، فنشط علماء البصرة والكوفة في هذا الشأن، وكان منطلقهم الشعر الجاهلي، فكانت بدايات جمع الشعر من الرواة وما يحصل في الأمر من أخطاء بسبب الرواية الشفوية وبعد الزمن، مما أظهر النحل على الشعراء بسبب الحاجة اللغوية، وما صاحب ذلك من

1- المصدرالسابق : ص 59 .

2- يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص 35 .

3- المرجع نفسه، ص36 .

تدخل الرواة في ترتيب الأشعار و استبدال الألفاظ ويتخذ "رينولد نيكلسون" كل من «حماد الراوية و لف الأحمر نموذجين للرواة الكذابين، الذين يجب الحذر من مروياتهم»[1].

وهناك أسباب أخرى لنحل الشعر الجاهلي في نظر نيكلسون وهي التغي يرات التي كان يحدثها الرواة و اللغويون على الشعر ليكون ملائما و متسقا مع لهجة قريش «تقوية الشعر فيه من ألفاظ وثنية يأباها الإسلام فمن المحتمل –كما يقول– مثلا إن لفظ (الله) كثيرا ما عوضت عن لفظ (اللات) الآلهة الوثنية بالإضافة إلى حذف أبيات أو مقاطع كاملة، أو نقلها من موضع لآخر من القصيدة وذلك بسبب تركيب القصيدة وتفككها و حاجتها إلى الترابط المنطقي»[2].

– و يرى نيكلسون أن أثر الدين في حياة الجاهليين، كان ضئيلا و كذا في شعرهم وهو على رأي مرجليوث – في هذا الشأن – وإن جاءت إشارات في شعر بعض الشعراء – كما في شعر زهير– «و لم تعم الجزيرة من وجود شعراء وحكماء كانوا يتساءلون ويبحثون عن قيمة الحياة ومغزاها إلى أين المصير ؟، كما كان يفعل زهير، و لم يكن يوسع الوثنية أن ترد على هذه التساؤلات»[3].

3–طه حسين و الاستشراق لقاء أم افتراق : (دوافع شك طه حسين في الشعر الجاهلي):

إلى هنا يبرز تطابق آراء طه حسين و ما جاء به "دنيفيد صموئيل مرجليوث ورينولد نيكلسون" و يتبين لنا أن شكه في الشعر الجاهلي و نفيه أن يكون هناك شعر لدى العرب الغارقين في البداوة و الذين لا يعرفون طريقا إلى الكتابة يطابق –رأي مرجليوث– و أنه انتهى في أرائه إلى ما انته ى إليه هذا الأخير من «أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين و ميولهم و أحوالهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين»[4] ليضيف «أقل ما توجب علينا الأمانة العلمية أن نقف، من الشعر الجاهلي، لا نقول موقف الرفض أو الإنكار، و إنما نقول موقف الشك و الاحتياط»[5].

1– المرجع السابق، ص36 .

2– المرجع نفسه، ص37 .

3– المرجع نفسه، ص38 .

4– طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص 83 .

5– المصدر نفسه، ص 281 .

وقد كانت هناك دوافع اعتمدها طه حسين للشك في الشعر الجاهلي جعلها في عدة نقاط، أو لها أنه لا يمثل الحياة الدينية و العقلية و السياسية و الاقتصادية للعرب الجاهليين.

– فقد رأى في الشعر الجاهلي من الناحية الدينية أنه لا يظهر من الديانة الوثنية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية... وأما القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعوا أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال[1].

–و يعلق على الناحية العقلية بالقول «أفنظن قوما يجادلون في هذ ه الأشياء جدلا يصفه القرآن بالقوة، و يشهد لأصحابه بالمهارة أفنظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة و الغل ظة و الخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلا! لم يكونوا جهالا و لا أغبياء، ولا غلاظا و لا أصحاب حياة خشنة جافية، و إنما كانوا أصحاب علم وذكاء، و أصحاب عواطف رقيقة، و عيش فيه لين و نعمة»[2].

–« أما أن الشعر لا يمثل الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام لأنهم كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم اتصالا قويا، وذكرهم القرآن في سورة الروم وفي اتصالاتهم الاقتصادية بغيرهم من الأمم في سورة قريش»[3].

– «و أن الشعر لا يمثل الحياة الاقتصادية»[4]، إذ لا توجد في الشعر أو في شعر أي شاعر أية إشارة إلى طبيعة تلك الحياة، والقرآن فيه الكثير مما يبين وجود الفقراء و الأغنياء و أنه عني بتحريم الربا، وحث على الصدقة وفرض الزكاة، وأن ذلك لم يكن ليشير إليه القرآن، لو لم تكن حياة العرب الاقتصادية الداخلية من الفساد و الاضطراب بحيث تدعو إلى ذلك، فضلا عن إشارات القرآن إلى نواح نفسية خالصة في ذم البخل و تظهر صلة العربي بالمال و حبه له، على حين نجد الشعر الجاهلي يظهر كرم العربي.

–أما عن طبيعة الحياة الاجتماعية للعرب في الجاهلية، فيقول عنها: «فهذا الشعر لا يعنى إلا بحياة الصحراء و البادية، و هو لا يعنى بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلا تاما، فإذا عرض لحياة المدر فهو يمسها مسا رقيقا ولا يتغلغل في أعماقها، وما هكذا نعرف شعر الإسلام، ومن عجيب الأمر أن لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي

1- ينظر المصدر نفسه، ص 81 .
2- المصدر نفسه، ص81 .
3- المصدر نفسه، ص82-83 .
4- المصدر نفسه، ص83 .

ذكر البحر أو الإشارة إليه فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر و لا أقل . أما القرآن فيمن على العرب بأن الله قد سخّر لهم البحر، و بأن في هذا البحر منافع كثيرة»[1].

– أما ثاني دوافع الشك عند طه حسين في ما يراه من اختلاف اللغة بين عرب الشمال و عرب الجنوب «وأن الشعر بعيد كل البعد على أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه»[2].

– و ثالثهما ففي اختلاف اللهجات بين العدنانيين و القحطانيين فيما يقوله الرواة في أنهم « مجمعون على أن قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة و لا م تفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام، فيقارب بين اللهجات المختلفة، و يزيل كثيرا من تباين اللهجات، و كان من المعقول أن تختلف لغات العرب العدنانية و تتباين له»[3] ليضيف أنه لو صحّ هذا كله كان من المعقول جدا أن تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنا نية لغتها و لهجتها ومذهبها في الكلام، و أن يظهر اختلاف اللغات و تباين اللهجات في شعر هذه القبائل.

– أما رابع تلك الدوافع في شكوك طه حسين ما رآه في الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن و الحديث و كان «الشعر الجاهلي قد قُدّ على القرآن و الحديث كما قُد الثوب على قد لابسه، لا يزيد و لا ينقص عما أراد طولا وسعة» [4]، ويرى في ذلك أنه ليس من طبيعة الأنبياء، و لايجوز الاطمئنان إلى ذلك الأمر إطلاقا في الموازاة بين القرآن و الحديث و الشعر الجاهلي، بل يحمل الأمر إلى الشك[5].

– و آخر تلك الدوافع ففي ما رآه طه حسين في الرواية الشفوية للشعر و هو أمر يبعث الشك و الريبة في النفس.

ويختم طه حسين حديثه عن دوافع شكه تلك بالقول: «إن من الحق علينا و لأنفسنا و للعلم أن نسأل: أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين و لا عقليتهم و لا ديانتهم و لاحضاراتهم، بل لا يمثل لغتهم، أليس هذا الشعر قد وضع وضعا، وحمل على أصحابه حملا بعد الإسلام؟

1– طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 87 .
2– المرجع نفسه، ص 88–89 .
3– المرجع نفسه، ص 120 .
4– المرجع نفسه، ص 120 .
5– ينظر: المرجع نفسه، ص 120 .

أما أنا فلا أكاد أشك الآن في هذا و لكننا محتاجون بعد أن ثبت لنا هذه النظرية أن نتبين الأسباب المختلفة التي حملت الناس على وضع الشعر و النثر و نحلهما بعد الإسلام»[1].

-إذن نخلص إلى أن طه حسين يتفق مع كل من المستشرقين "**دافيد صمويل مرجليوث** " و "**رينولد نيكلسون**" في معظم البواعث الأساسية التي دفعته ما إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي، و أنه أخذ فكرة الشك من هذين المستشرقين الذين صاحبهما و نزع إلى مذاهبهما، فقد تأكد لدينا (في الصفحات السابقة)، أن الأسباب التي استند إليها طه حسين في شكه في الشعر الجاهلي لا تكاد تخرج عما قاله "**دافيد صمويل مرجليوث**" و "**رينولد نيكلسون**"، فمحمد عوض محمد ينقد طه حسين، ويرى أنه يقف ثقافة حقيقية أزهرية ليس غير. «وليست ثقافته الأروبية إلا رداء وطلاء، إن بهر العين مظهره، فإنه لا يذهب إلى غور بعيد، لقد استطاع أن يصرف الناس- على غير عمد- عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان و الرومان ، و يثير الزوابع التي برع فيها أثناء كلامه عن أشخاص غربيين مثل ديكارت»[2].

ويقصد محمد عوض محمد، أن ثقافة طه حسين قوية الأسس و الأركان و أن ثقافته الأوروبية سطحية، ورداء و طلاء.

و يتساءل إبراهيم عوض أن طه حسين أعلن أنه جرى على منهج ديكارت في شكه "في الشعر الجاهلي«فكيف إذن تجاهل أحد القوانين الفطرية، التي رأى ديكارت أنها تعلو على كل شك، ألا و هو "قانون عدم التناقض" الذي بمقتضاه لا يمكن أن "يكون" الشيء و "لا يكون" في الوقت نفسه، بل إما أن "يكون" فقط أو "لا يكون" ؟»[3]

وهذا يعني أن إبراهيم عوض يؤكد أن شك طه حسين في الشعر الجاهلي، لا علاقة له بشك ديكارت.

أما عن منهج شك طه حسين في الشعر الجاهلي فلا يمكن أن يتجرد عن مقدساته (الدين والقومية)، ذلك لأنه وحتى في دراسته لهذا الموروث الشعري استغل الزخم المعرفي التراثي (ابن سلام).

1 المرجع السابق، ص123 .

2 حسين جمعة، القامة و الظل ، دار ابن هاني للدراسات و النشر و التوزيع، سوريا، ط1، 1993م، ص153

3 إبراهيم عوض، معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين، مطبعة الفجر الجديد، مصر، د ط، 1987، ص22.

– وهناك من يرى أنه من الإجحاف و سوء التقدير، أن يرمى طه حسين بالتلفيق و الاضطراب في توظيف المنهج المناسب، لعملية قراءة التراث الشعري.

– فطه حسين تبنى المنهج الديكارتي منذ البدء، و أخذ بمعطيات الفلسفة الديكارتية، لأنه مقتنع بأن كل الفلاسفة من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين "ديكارتيون" و أن العلماء التجريبيين إنما يأخذون بمنهج "ديكارت" من حيث هو أصل من أصول البحث العلمي، لكنه لم ينصرف عن المستجدات الفلسفية التي تعاقبت على الثقافة الانسانية بعد "ديكارت"[1].

فحسين جمعة يرى أن طه حسين وقف من الأدب العربي، وتاريخه موقف الباحث الناقد، وسلك فيه ذلك المنهج العلمي لتحقيق نتائج بحثه «فهو لم يشكك في الشعر الجاهلي، و لم يلغ ما أجمع الرواة عليه، ولكنه أراد بعد أن تحقق من ظاهرة النحل، واضطراب الرواة، ألاّ يقبل في الأدب وتاريخه شيئا مما قاله القدماء، إلا بعد أن يضع كل ماقالوه موضع البحث»[2]

وهذا يعني أن المنهج الديكارتي مظهر من مظاهر المنهج العلمي، الذي سلكه طه حسين في دراسته "للشعر الجاهلي"، وهذا المنهج جدد النزاع أو المعركة، بين أنصار القديم الذين اطمأنوا إلى كل ماقاله القدماء، دون أن يغيروا شيئا، وبين أنصار الجديد الذين لايأخذون أنفسهم بإيمان واطمئنان إلى القديم «والنتائج اللازمة لهذا المذهب – مذهب المجددين– عظيمة جليلة الخطى، فهي إلى الثورة الأدبية أقرب منها إلى شيء آخر... وقد ينتهون إلى تغير التاريخ، أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ، بل قد ينتهون إلى أشياء، لم يكن يباح الشك فيها»[3]

و هذا ما انتهى إليه طه حسين، ويعني أن طه تقولب و تأطر في فلك هذا المذهب — مذهب المجددين– و عمقه ورفده بثقافة منهجية حديثة. «وهكذا كان طه حسين في كتاب "في الشعر الجاهلي" معلم الثورة الفكرية، معلم الحرية الفكرية، معلم المنهج العلمي الحديث، في التاريخ و الأدب »[4]

1 ينظر: حسين جمعة القامة و الظل، ص153

2 المرجع نفسه: ص52

3 المرجع نفسه: ص158،157.

4المرجع نفسه: ص160

ويبدو أن المغزى من عدم الاطمئنان لأي مسلمة من شأنها أن تجمد الاجتهاد أو أن تقتل البحث. هو خلخلة النظم المسيطرة على الساحة الفكرية العربية آنذاك.

أما سامح كريم فيعلن حزنه و أسفه، حيال من أجهدوا أنفسهم في البحث و التقصي، في قضية الشعر الجاهلي بعد تطور البحث فيها، ليصلوا إلى نتيجة مفادها تقليد طه حسين للمستشرقين "و لهذا أقول: إن ما يحزن المرء و يؤسفه هو أن ننسب في حوارانا الثقافية العربية جهود أجدادنا العرب الأقدمين، إلى غيرهم من الأجانب و المستشرقين، سواء أكان هذا لمرجيلوث الذي أراد البعض أن يهرنع منه شيئا مذكورا في تاريخنا الثقافي أو حين يتهم بعضنا البعض دون برهان أو دليل، مع أن أبسط مراجعة لتاريخنا الثقافي تدلنا على أن الشك عامة، و الشك في صحة الشعر الجاهلي خاصة، منهج عرفه العرب الأقدمون، قبل أن يعرفه الأوروبيون بما فيهم ديكارت نفسه "[1]

و من هنا نرى اتفاقا مع عبد الرحمن بدوي حول شكه في صحة الشعر الجاهلي " أن طه حسين في شكه في صحة الشعر الجاهلي قد تأثر بعلماء الأدب و نقاده العرب، وفي مقدمتهم ابن سلام الجمحي، هؤلاء العلماء النقاد العرب الذين وضعوا قواعد للنقد السليم للشعر الجاهلي قبل ألف عام من ظهور مرجليوت أو غيره"[1].

1: سامح كريم، طه حسين فكر متجدد، ص36

2 : المرجع نفسه : ص 37

خـــاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث الذي هدف إلى دراسة "أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي" يمكن القول أن جملة الاستنتاجات التي توصلت إليها تتمثل فيما يلي:

- أن الاستشراق اتسم بالغموض في كل زواياه، سواء في مفهومه الذي أختلف حسب الباحثين و المفكرين، إلا أنه يمكن اعتباره نشاطا فكريا نشأ في الغرب، فاتخذ الشرق مادة أولية له.

- المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق و لغاته و آدابه .

- و أما إذا عدنا إلى نشأة الإستشراق، فإننا نجد من الصعوبة القطع بتاريخ محدد لبدايته، نظرا لاختلاف الآراء و الأقوال حول تلك البداية .

- أما عن أسباب و دوافع الاستشراق التي اختلفت و تنوعت بين أسباب دينية، و التي ترجع لعدائهم للإسلام ودوافع استعمارية والتي كانت من أبرز خلفياته وغاياته معرفة الاستعمار وأحوال الشرق، إلى جانب الأسباب العلمية و الاقتصادية و قد لخصها مصطفى السباعي في شكل أهداف للمستشرقين.

- كان للبيئة التي عاش فيها طه حسين، و للأفراد الذين خالطهم أثر في تكوينه النفسي و العقلي، و لقد مر طه حسين في تكوينه الفكري بيئتين مختلفتين.

أولهما: بيئة القرابة بداية من أسرته و قريته، و مافيها من فئات مختلفة الأشكال و الألوان و التفكير.

- ثانيهما: البيئات التعليمية التي تدرج فيها طه حسين من مرحلة إلى أخرى، بداية من الأزهر الشريف و مرورا بالجامعة المصرية القديمة و انتهاء بالسوربون.

- طه حسين كان مفتونا بالشعر العربي القديم بصورة لا يقاس إليها تأثره البالغ بالأدب اليوناني، إذ يرتقي بالشعر العربي القديم إلى مصاف الآداب العالمية الكبرى.

- ويبقى مطروحا في ساحة كتابه - طه حسين- " في الشعر الجاهلي " ظاهرتان بارزتان:

إحداهما سلبية: وهي ظاهرة التباين والتناقض اللذين يقع فيهما غالبا، والواقع أن هذه الظاهرة، وما يدَرج فيها من مبالغات تغطي مساحة عريضة من أحكامه في هذا الكتاب.

و ثانيهما إيجابية: أما الظاهرة الثانية في الكتاب " في الشعر الجاهلي" فهي إيجابية، و تكاد تكون موازية في هذا الكتاب للظاهرة السلبية و يمكن تخليص هذه الإيجابية "بالثورة على القديم" و لكن هذه الثورة لا تعني التشكيك في التراث العربي أو رفض التاريخ العربي، و إنما تعني غربلة التراث من الشوائب التي لحقته عبر القرون، وتصحيح التاريخ و تقويم المفاهيم المغلوطة على الفكر العربي.

– إن في الشعر الجاهلي، شعرا منحولا، موضوع الذي وضعه القصاص لتحلية أحاديثهم و إمتاع سامعيهم في العصور الغابرة و كان القصاصون يحبون أن يزينوا هذا القصص بالشعر.

– إن الشعر لم يكتب وإنما نقل بالرواية الشفوية و استكثر بعضهم أن تكون الرواية الشفوية قادرة على حفظ هذا الشعر ونقله عبر العصور.

– تمسك كل من المستشرقين "ديفيد صمويل مرجليوث " و"رينولد نيكلسون"، و طه حسين بالرواة الكذابين ، وقالوا إن حماد الراوية و خلف الأحمر كانا يزيدان في الأشعار.

– إن الشعر الجاهلي لا يمثل الدين الوثني ولا يمثل النصرانية أو اليهودية .

– وعلى الضد من ذلك قال المستشرقين : إن الشعر الجاهلي الذي فيه أثر ديني أو ألفاظا لها مدلولات دينية، مثل الله، والرحمن والقيامة، والحساب إنه من صنع المسلمين وإنه شعر إسلامي منحول على الجاهلين.

– قال كل من المستشرقين ديفيد مرجليوث و رينولد نيكلسون وطه حسين أن الشعر جاهلي منحول لأنه لا يمثل اللهجات التي كانت قبل الإسلام، و إنما جاء بلغة قريش التي جاء بها القرآن.

- المستشرق "ديفيد صمويل مرجليوث " يتخذ من ال قرآن دليلا على وجود الشعر والشعراء الجاهليين، مع أنه يعتمد على مرجع لا يعتقد بصحته إضافة إلى سوء التفسير و الاستنتاج من القرآن الكريم.

- تطابق وتشابه أراء كل من المستشرقين "ديفيد صمويل مرجيلوث " و "رينولد نيكلسون" مع آراء طه حسين مما يعني أنه تأثر بهما.

ما وصل إليه طه حسين في هذه القضية يحتاج باستمرار إلى قراءات جديدة، وإلى مزيد من الشرح، ولذلك فمن الصعب أن تكون هذه القراءات محسومة وإلى الأبد بدليل صدور كتابات جديدة عن طه حسين تتباين في الرؤى و النتائج.

و أنا أرى أن هناك العديد من الأفكار والرؤى الغربية التي يؤدي عرضها في مناهج ن الدراسية، إلى خلق نوع من الالتباس لدى المتعلمين حيال بعض الحقائق والقضايا التراثية، ولقد ساعد على رسوخ هذه الفكرة، ما وجد من كتابات تتناول ما توصلت إليه الدراسات الاستشراقية، والتي تقول بوجود العديد من الأفكار والرؤى الغربية الوا فدة، التي تسربت إلى بعض المؤلفات، و أغلب الظن أن هذه ا لأفكار و الرؤى جاءت من خلال النقل من المستشرقين أو التأثر بهم، مما يؤدي إلى بعض المغالطات التي تخالف الحقائق، والتي يجب أن تكون مناهجها الدراسية بعيدة عنها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا – المصادر :

القرآن الكريم برواية ورش

1 – ادوارد سعيد، الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عنابي، دار بنجويت العالمية رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

2 – طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة–تونس، (دط)، (دت).

ثانيا –المعاجم :

3 – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، (دط)، ج1

ثالثا – المراجع :

4–إبراهيم عوض، معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي طه حسين، بحث موضوعي مفصل، مطبعة الفجر الجديد، مصر، دط، 1987م

5– أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزات نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الاولى، 1418هـ، 1996م.

6 – اسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية (بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية)، دار حنين، عمان، الطبعة الثانية، 1992م.

– المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، الطبعة الثانية، 1992م.

8 – حسين جمعة، طه حسين، القامة والظل، دار ابن هاني للدراسات والنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، سورية – دمشق، الطبعة الأولى، 1993م.

9 – عبد الرحمان عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وظلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت – لبنان،(دط)، (دت).

10 – عبد الرزاق عبيد، طه حسين العقل والدين، مركز الإحماء الحضاري، حاب – سوريا، الطبعة الأولى، 1995م.

11– عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار في النشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1424ه–2003م

12 – ساسي سالم الجاح، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، الجزء الأول، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، الطبعة الأولى.

13 – سالم يفوت، هزيات الاستشراق وتغريب العقل التاريخي في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ، يناير 2004م.

14 – سامح كريم، طه حسين، فكر متجدد، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1424هـ يناير 2004م.

15 – سوزان، طه معك، دار المعارف، سلسلة كتب أكتوبر، ب – ت.

16 – السيد فتحي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في المناهج الدراسية (مناهج التاريخ والحضارة الإسلامية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2013م.

17 – طيب تيزيني، من الاستشراق الغريب إثر الاستغراب المغربي بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي أفاقها التاريخية، دار الذاكرة، حمص – سوريا، دار المجد، الطبعة الأولى، 1996م.

18 – ماجد السامرائي، الثقافة واحة (قراءة في فكر طه حسين)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1996م.

19 – محمد إبراهيم الفيوم، الاستشراق رسالة استعمار (تطورات الصراع الغريب مع الإسلام)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1413هـ – 1993م.

20 – محمد أحمد محمد فرج عيطة، طه حسين والفكر الاستشراقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى، 1935هـ – 2014م.

21 – محمد ياسين عريب، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، نقد العقل التاريخي، المجلس القومي للثقافة الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 1991م.

22 – وائل غالب، مابعد الاستشراق والإسلام (دراسة في أدب غوتة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، الطبعة الأولى، 2009 – 2010م.

23– وليد كاصدالزيدي، الاستشراق والإسلام، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م–2010م

24 – يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

25 – يوسف خليف، مواقف بين الشعر والنقد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

رابعا: المصادر المترجمة:

26– ديفيد صمويل مرجيليوث، أصول الشعر العربي، تر إبراهيم عوض، دار الفردوس، دط، 1428ه–2006م

27 – يوهاك فوك، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا في بداية القرن العشرين، نقله عن الألمانية، عمر لطفي ،مطبعة رفع المساهم، ط 2، 2008م.

فهرس الموضوعات

الفهـــــرس	
مقـــــدمة	أ
الفصل الأول: الاستشراق وطه حسين	5
أولا: 1-مفهوم الاستشراق	6
1-1-لغة	6
1-2-اصطلاحا	7
2-مفهوم المستشرق	9
3- نشأة الاستشراق	10
4-أسباب و دوافع الاستشراق	13
4-1-الأسباب الدينية	13
4-2-الدوافع الاستعمارية	13
4-3-الأسباب العلمية	13
4-4-الأسباب الاقتصادية	14
5-أهداف الاستشراق	14
ثانيا: مراكز اتصال طه حسين بالاستشراق	15
1-الاتصال و التكوين الدراسي	16
1-1-في مصر	16
1-2-في فرنسا	17
2-الاتصال بالمستشرقين في مرحلة العطاء	19
2-1-العمل الجامعي	19
2-2-اللقاءات المنزلية (الصداقة الشخصية)	20
2-3-حضور المؤتمرات الاستشراقية	21
الفصل الثاني: أثر الاستشراق في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي	23
أولا: تقديم كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين	24
1-الشكل الخارجي للكتاب "في الشعر الجاهلي"	24
2-مضمون الكتاب	25

الكتاب الأول: "الجاهليون، لغتهم و أدبهم"	25
الكتاب الثاني	25
3-منهج البحـــث	26
ثانيا: أسباب نحل الشعر الجاهلي عند طه حسين	27
1-السياسة	27
2-الديـــــن	29
3-القصص	30
4-الشعوبية	31
5-الرواة	32
ثالثا: مصادر منهج الشك والنحل في تقييم طه حسين للشعر الجاهلي	33
1-آراء المستشرق: "ديفيد صمويل مرجليوث"	33
2- آراء المستشرق "رينولد نيكلسون"	36
3-طه حسين و الاستشراق لقاء أم افتراق (دوافع شك طه حسين في الشعر الجاهلي)	37
خـــــاتمة	43
قائمة المصادر والمراجع	
ملخص	

ملـــــــخص

تهدف هذه الدراسة إلى أثر الاستشراق، في قراءة طه حسين للشعر الجاهلي وذلك من خلال قراءته للشعر الجاهلي، في كتابه "في الشعر الجاهلي"، وتبيان مدى تأثره في هذه الدراسة بال مستشرقين، وجاءت هذه الدراسة بمقدمة، ثم يليها الفصل الأول المعنون بـــ "الاستشراق وطه حسين" الذي تناول مفهوم الاستشراق، نشأته، أسبابه، ومراكز اتصال طه حسين بالاستشراق سواء في مصر أو في فرنسا، أو عن طريق الصداقة الشخصية، وفصل ثاني برز فيه تقديم كتاب في الشعر الجاهلي، وأسباب نحل الشعر الجاهلي عند طه حسين وأخيرا مصادر منهج الشك، والنحل في تقييم الشعر الجاهلي لطه حسين، وأنهيت البحث بخاتمة.

Résumé

J'ai commencé cette étude par une introduction puis la première partie "L'occidentalisation et Taha Hussein " dans laquelle j'ai abordé la notion d'occidentalisation et la vision occidentale à l'égard des œuvres orientales ainsi que ses causes et les centres de communication qui lient Taha Hussein à l'occidentalisation y compris ses relations et connaissances personnelles en Egypte ainsi qu'en France. Dans la seconde partie de l'œuvre "poésie préislamique" j'ai présenté l'œuvre puis les causes du doute de Taha Hussein sur l'authenticité de la poésie arabe antique "préislamique" et enfin les sources de l'opinion douteuse de Taha Hussein sur la falsification. A la fin j'ai terminé cette étude par une conclusion.

Cette étude a pour objectif de montrer à quel point l'opinion de Taha Hussein ,par rapport à la poésie préislamique, a été occidentalisée et à quel degré elle a été influencée par la vision occidentale à l'égard des œuvres orientales, et ce, à travers son livre intitulé "la poésie préislamique".